جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مصطلحات سيبويه الصوتيَّة
دراسةٌ في مركزيتها في التراث العربيِّ

د. الدكتور
عصام فاروق إمام أحمد
أستاذ أصول اللغة المساعد
في كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الحادي عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

مصطلحات سيبويه الصوتيَّة دراسةٌ في مركزيتها في التراث العربيِّ

عصام فاروق إمام أحمد

قسم أصول اللغة، في كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان ـ جامعة الأزهر ـ مصر

البريد الإلكتروني: dr.esamfa@azhar.edu.eg

الملخص:

يلقي البحثُ الضوءَ على مركزية مصطلحات الإمام سيبويه الصوتية في التراث العربي، من خلال تتبعِ أثر تلك المصطلحات في اللاحقين له من علماء الأمة على مدى قرونٍ عديدةٍ، مع العمل على إبرازِ مظاهر ذلك التأثير وحدوده، ومحاولة توضيح الأسباب التي أدتْ إلى تلك المركزية، والعوامل التي أدتْ إلى بقاء هذه المصطلحات قرونًا عديدةً حتى عصرنا الحاضر.

كما حاول البحث إخضاع تلك المصطلحات للشروط الفنية للمصطلح العلمي الدقيق كما هو مقرر في علم المصطلح الحديث؛ لبيان مدى مطابقتها لتلك الشروط.

وقد استعان البحثُ بالمنهج الوصفي لينهض بتحقيق الأهداف التي سعى إليها من خلال آليات الوصف والتحليل، كما خلد أحيانًا إلى المنهج التاريخي، حينما تعلَّق الأمرُ بتأصيل بعض المصطلحات، وكذا الحديث عن سيبويه، وكتابه، ومكانتهما في القديم والحديث.

الكلمات المفتاحية : مصطلحات، المصطلحات الصوتية، سيبويه، التراث العربي.

Sibawayh phonemic terminology is a study of its centrality in the Arab heritage

Essam Farouk Imam Ahmed
Department of Language Origins, at the Al-Azhar Girls College, 10th of Ramadan, Al-Azhar University, Egypt.
Email: dr.esamfa@azhar.edu.eg

Abstract

The research sheds light on the centrality of Imam Sibawayh's phonemic terminology in the Arab heritage, by tracing the effect of those terms on his followers from the scholars of the nation over many centuries, while working on highlighting the manifestations and limits of that influence, and trying to clarify the reasons that led to that centralization, and the factors that These terms have survived for many centuries to the present day.

The research also tried to subject those terms to the technical conditions of the exact scientific term as determined in the modern term science. To demonstrate the extent of their compliance with those conditions.

The research used the descriptive method to advance the realization of the goals it sought through the mechanisms of description and analysis, and it was sometimes immortalized in the historical method, when it came to the origin of some terms, as well as talking about Sibawayh, his book, and their place in the old and the modern.

Key words: terminology, phonetic terms, Sibawayh, Arab heritage.

Keywords :

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شهد القدماء والمحدثون من علماء الأمة لشخصية الإمام سيبويه العلمية ولكتابه بالفضل والريادة ما لم يُشهد بمثله لأحدٍ، حتى تخطت شهرتُه أستاذَه والمصدرَ الأول لعلمه الخليل بن أحمد.

وتعدتْ تلك الشهادةُ حدودَ الاختلافات الواضحة والمتجذرة بين مدرستي البصرة والكوفة، لنجد من الكوفيين من يُعلي قدرَ (الكتاب) ويقدره حق قدره، إنْ سرًّا أو جهرًا، ويعترف فيه بأستاذيَّة هذا الرجلِ، وقيمة ذلك الكتاب.

بل تعدتْ تلك الشهادةُ حدودُنا الجغرافية – وما يصاحبها من حدود ثقافيةٍ وعلميةٍ وحضارية– حيث شهد له ولكتابه ثلةٌ من المستشرقين، وأعطوه من العناية والدرس والفحص ما يؤكد القيمةَ العلمية لهذا الكتاب التي لا تقف عند حدود لغة أو حضارة بعينها.

ومما لاشك فيه أن (الكتاب) ليس مصنفًا نحويًّا فحسب، وإنما هو موسوعةٌ لغويةٌ، بكل ما تحمله الكلمة من دلالات، يؤكد ذلك ما تشمله صفحاته من علوم ومجالات. ومن ضمن هذا المجالات التي تتناثر مادتُها بين جنبات الكتاب، (علمُ الأصوات)، وقد كان لسيبويه فيها شخصيةٌ بدتْ مستقلةً عن شخصيةِ أستاذه واختياراته استقلالًا واضحًا، من حيث تحديد المخارج وصفات الأصوات واختيار المصطلحات أو صياغتها.

ويأتي هذا البحثُ ليتناول جانبًا مهمًّا من جوانب مركزيَّة الإمام سيبويه في الثقافة العربيَّة، يتمثَّل في مصطلحاته الصوتيَّة التي أوردها في

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثنايا كتابه، وما لها من أثر في مؤلفات اللاحقين له، تلك المؤلفات التي تتنوع بتنوع مجالاتها المعرفية، وحدودها الزمانيَّةِ بين القديم والحديث، والمكانيَّةِ في بقاع الأرض المترامية الدارسةِ للغة الضاد، أو المعنية بتراثها، ومشاربِ أصحابها وانتماءاتهم إلى مدارس لغوية ونحوية متعددة.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات كلِّها يبقى المصطلحُ الصوتيُّ السيبويهيُّ قاسمًا مشتركًا ينسربُ داخل تلك المؤلَّفات- إنْ على جانب استعمال المصطلح أو اعتماد تعريفاته وإقرارها- شاهدًا على مركزيَّة هذه المصطلحات داخل الجهاز الاصطلاحي لعلم الأصوات في اللغة العربية، وهو ما يدعو إلى العجب والاستنفار في الآن نفسه لدراسة مظاهر تلك الهيمنة، وأسبابها، وآثارها في الدرس الصوتي العربي قديمه وحديثه.

وأصلُ هذا البحث ورقةُ عملٍ بعنوان: (مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في الثقافة العربية) كنتُ قد تقدمتُ بها إلى الندوة العلمية الدولية المعنونة بـ(مركزية سيبويه في الثقافة العربية) التي نظمَّها قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة عبد المالك السعدي- بتطوان، بالمملكة المغربية يومي ١٤، ١٥ من ديسمبر عام ٢٠١٦م، ثم وجدتُ جوانبَ عديدةً من هذه الورقة في حاجة إلى شرحٍ وتفصيلٍ وبيانٍ، لم تكن تتحمله ورقةُ العمل المُقدَّمة؛ لطبيعتها ومحدودية المساحة المتاحة لها، فوسعتُها بما يزيد على ضعفيها، من حيث المساحة، وما اقتضاه ذلك من التوسع في النماذج ومحاولة التعمق في المعالجة.

ولمنزلة سيبويه وشهرته في التراث العربي فقد تناول الكثيرون مصطلحاته النحوية بالدرس والتحليل، وكذا آراؤه الصوتية، لكني لم أقف- في حدود اطلاعي- مَن خصَّص بحثًا لدراسة مصطلحاتِه الصوتيَّةِ، من حيثُ

بيانُ مركزيتها، وتوضيح أسباب تأثيرها واستمراريتها، أو إخضاعها لمبادئ (علم المصطلح الحديث) كما سعيتُ في هذا البحث.

وقد رام البحثُ المنهجَ الوصفيّ لينهض بالإجابة عن تساؤلاته، من خلال آليات الوصف والتحليل، كما خَلَدَ إلى الاستعانة ببعض مبادئ المنهج التاريخي، حينما تعلَّق الأمر بتأصيل بعض المصطلحات، وكذا الحديث عن سيبويه، وكتابه، ومكانتهما في القديم والحديث.

وقد أتتْ التساؤلات الرئيسة لهذا البحث متمثلة في:

- ما مظاهر مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في التراث العربي؟
- ما آثار تلك المركزية على الخالفين لسيبويه؟
- ما أسباب تلك المركزية، وما العوامل التي أدتْ إلى بقاء هذه المصطلحات قرونًا عديدةً؟
- هل توافرت في هذه المصطلحات الشروط الفنية للمصطلح العلمي الدقيق، كما هو مقرر في علم المصطلح الحديث؟

وسعى البحثُ إلى الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال تقسيمه إلى المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: الإمام سيبويه و(الكتاب) ومنزلتُهما في العربية

أردتُ من خلال هذا المطلبِ أن أوضح ما لسيبويه وكتابه من منزلةٍ كبيرةٍ في نفوس علماء الأمة في القديم والحديث، من خلال بعض الروايات والأخبار الواردة في ذلك، من حيث كونها دليلًا قويًّا على ما تملكه هذه الشخصية من ريادةٍ تاريخيةٍ وتميزٍ في ثقافتنا العربية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثاني: المصطلحات الصوتية في التراث العربي

تناولتُ في هذا المطلب إطلالةً كلية للمصطلحات الصوتية في تراثنا العربي، حاولتُ فيها التأريخَ السريعَ لبعض المراحل التي مرتْ بها من خلال تلك الإشارات الواردة عند بعض العلماء ما قبل الخليل، ومرورًا بالمقدمة الصوتيَّة الخليليَّة، والإسهامات السيبويهيَّة بوجه عامّ، وما لجهديهما في هذا المجال من مكانةٍ ومنزلةٍ.

كما فحصتُ بعضَ سمات المصطلح الصوتي القديم، ووضحتُ كيفية استثمار المحدثين؛ عربًا ومستشرقين لهذه المصطلحات، بعد إعادة تعريفها بحسب ما يتلاءم مع نظرياتهم الحديثة، وذلك بشهادة المنصفين منهم.

المطلب الثالث: مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية: (مظاهرها، وآثارها)

توقفتُ في صدر هذا المطلب أمامَ إشكالية منهجية تتمثل في عد الجزم بنسبة المصطلحات الصوتية الواردة في (الكتاب) إلى سيبويه، موضحًا سبيلي إلى تخطي هذه الإشكالية.

واعتمدتُ في هذا المطلب على استجلاء نماذج من المصطلحات – موزعة على حقولٍ متعددةٍ منها: مصطلحات صفات الأصوات، مصطلحات أعضاء النطق والمخارج، المصطلحات الخاصة بالأصوات الفروع، المصطلحات الفنولوجية، المصطلحات الخاصة بأداء الحركات – من خلال ودجودها وتكرارها في كثير من مصنَّفات التراث العربي، معقبًا على ذلك ببيان مظاهر مركزية هذه المصطلحات، وآثارها في مؤلَّفات الخالفين لسيبويه.

المطلب الرابع: **مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية**: (**أسبابها**، **وعوامل بقائها**)

بعد الحديث عن مظاهر مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية عرجتُ على الحديث عن أسبابها وعوامل بقائها، من خلال بعض الأسباب التي أراها حاكمةً في هذا الشأن.

وحاولتُ فحصَ بعض المصطلحات في ضوء المبادئ المصطلحية المقررة في (علم المصطلح الحديث)، كما طبقتُ عليها الشروطَ الفنية للمصطلح العلمي الدقيق، خصوصًا الواردةَ في بابِ الإدغام، للخروج بإجابة عن تلك الأسباب وهاتيك العوامل.

كما ذيلتُ البحث **بخاتمةٍ** تضمنتْ أهم النتائج التي توصلتُ إليها.

وأرجو من الله أن أكون قد وفقتُ من خلال هذا البحث إلى إعطاء الإمام سيبويه وكتابه بعض ما يستحقان من الدرس والفحص، مع يقيني أن (الكتاب) بحرٌ خضمٌ، لا يستطيع أمثالي أن يخوضوا عبابه بسلام، أو يصلوا إلى لآلئه بسهولة ويسر، وحسبي أني استفرغت جهدي وتشبهت في تلك المحاولة بالرجال ممن أولوا سيبويه وكتابته عنايتهم – من أمثال الأستاذ عبد السلام هارون، والأستاذ علي النجدي–، والتشبه بالرجال على كلِّ حالٍ فلاحُ.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل،،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الأول:

الإمام سيبويه و(الكتاب) ومنزلتُهما في العربية

لعل شخصيةً بقدر الإمام سيبويه لا تحتاج إلى كثير تعريفٍ، وبسطِ ترجمةٍ؛ كونه من علماء الأمة الشهيرين، ومن رواد الدرس اللغوي المؤسِّسين. لكني سأُعرِّج قليلًا على جانبٍ من حياته، أُردفُه بالحديث عن منزلته وكذلك منزلة كتابه؛ لعل ذلك يكشف لنا عن بعضٍ من العوامل التي أسهمت في بناء هذه الشخصية العلمية العملاقة.

يذكرُ أصحابُ الطبقات والتراجم(١) أنَّه: عمرو بن عثمان بن قَنْبر، وكنيته أبو بشر، وأبو الحسين، وأبو عثمان، والكُنيةُ الأُولَى أثبتُها جميعًا.

وأما لقب سيبويه فهو لفظ فارسي، يعني: (رائحة التفاح)، وتعددتْ علل إطلاق هذا اللقب عليه، ما بين قائل: إنّ أمه كانتْ ترقِّصه(٢) وهو صغيرٌ بذلك.

---

(١) اعتمدتُ في صياغة هذه الترجمة على ما ورد في: طبقات النحويين واللغويين (٦٦ وما بعدها) لأبي بكر الزبيدي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ثانية ١٣٩٢ه- ١٩٧٣م، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء (٥٤ وما بعدها) لأبي البركات ابن الأنباري، تح. د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الأردن، ط ثالثة ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م. وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢٢٩/٢) للسيوطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، أولى، ١٣٨٤ه- ١٩٦٥م، وسيبويه إمام النحاة (٧٠ وما بعدها) على النجدي ناصف، عالم الكتب- القاهرة، ط ثانية، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م، مقدمة تحقيق الكتاب (٣/١ وما بعدها) سيبويه، تح. عبد السلام هارون، ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م

(٢) ترقِّص الأم ولدها، أي تأرجحه على ركبيتها أو بين ذراعيها، ويصاحب هذا الترقيص كلامٌ لعله منه قولها له: سيبويه، أي: يا رائحة التفاح.

وقيل: كان من يلقاه لا يزال يشتم منه رائحة طيبة. وقيل أيضًا: كان يعتاد شم التفاح.

وغيرها من التعليلات التي تجتمع في كونها مدحًا له، مما يدل على منزلته عند الناس، في الوقت الذي كُثر فيه التلقيب ذمًّا، مما نعهده كثيرًا عند العرب، للدرجة التي نهاهم الله عزوجل عنها في قوله: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾[1]

وسيبويه من أصل فارسي، ولد بالبَيْضاء (وهي مدينة كبيرة في كورة إصطخر)، ونشأ بالبصرة، حيث إنها أقرب الحواضر الإسلامية الثلاث: (البصرة والكوفة وبغداد) لأهل فارس، وكان مولى الحارث بن كعب، ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي.

أحبَّ سيبويه العلمَ منذ صغره، وطلَبَه في مجال العلوم الشرعية، قال نَصرُ بن عليّ: كان سيبويه يستملي على حماد بن سلمة، فقال حمادُ يومًا: قال صلى الله عليه وسلم: ليس أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، وظنه اسم ليس، فقال له حماد: لحنتَ يا سيبويه، ليس أبا الدرداء. وإنما (ليس) هنا استثناء. فقال سيبويه: لا جرم، لأطلبن عِلْمًا لا تلحنني فيه أبدًا.

وكما يقولون:(ربَّ ضارةٍ نافعةٌ)، فقد صَنَع هذا الموقفُ أعظم رجالات النحو العربي، حيث توجَّه سيبويه إلى دراسة علم النحو على يدي رواده الأوائل من أمثال: عيسى بن عمر (١٤٩ه)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠ه)، ويونس بن حبيب (١٨٢ه)، وغيرهم.

---

(١) الحجرات من الآية (١١)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولعل هذا الموقف من أوائل المواقف التي أسهمت في بناء شخصية سيبويه العلمية على أسس سليمة، بدا ذلك من عزمه الشديد على التعلم والتحصيل، وعبارته لحماد (لأطلبن علما لا تلحنني فيه أبدًا) دليلٌ على ذلك.

وروي أنه كان في لسانه حبسة، يقول معاوية بن بكر العليمي: .. ((قد رأيته، وكان حدث السن، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل بن أحمد. وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو، وكانت في لسانه حبسة، ونظرت في كتابه، فعلمه أبلغ من لسانه.)) (١)

ولله در الأستاذ عبد السلام هارون في تعليقه على هذا الخبر- وغيره- بقوله: ((ولعل تلك الحبسة، على ما يبدو من مبالغة في تصويرها، هي التي دفعته إلى التأليف، وتنحتْ به عن مقام الأستاذية الواسعة، إلى مقام التأليف البارع المقتدر، الذي يجانبه فضول القول وفضول الفكر.)) (٢)

ويمكن اعتبار هذه الأخبار من المبالغات بالفعل؛ لِمَا روي أنه خاض العديد من المناظرات مع الكوفيين من أمثال: الأحمر، وهشام، والفراء. وكذلك مناظرته الكسائي في المناظرة الكبرى المعروفة بـ(المسألة الزنبورية)(٣) والتي عقدت في بغداد. وبغض الطرف عن النتيجة التي آلت إليها تلك المناظرة، إذ كان لمكر الكوفيين فيها اليد الطولى كما يقال.

أقول على الرغم من ذلك فإن مثل هذه المناظرات قد تؤكد أن ما روي في شأن لسانه من المبالغات فعلًا، لأن من آليات المناظرات فصاحة

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (٦٦)

(٢) مقدمة تحقيق الكتاب (١٧/١)

(٣) تحدَّث الأستاذ/ على النجدي عن هذه المناظرة باستفاضة، ينظر كتابه: سيبويه إمام النحاة (١٠٤ وما بعدها).

اللسان، وإن وجدت هذه الحبسة بالفعل فتعد عقبةً أجاد سيبويه اغتنامها في براعته في الكتابة.

وبعد هذه المناظرة رحل سيبويه عن بغداد، ولبى نداء ربه سنة ١٨٠ه على أرجح الآراء، وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة.

ولعله لم تلق شخصية في التراث اللغوي العربي – على امتداد تاريخه الطويل– اهتمامًا وعنايةً مثلما لقيتْ شخصية سيبويه، كما لم يلق كتابٌ في العربية– قراءةً وشرحًا له (أو لمشكله أو لشواهده)، ودراسةً، واعتراضًا عليه، أو ردًا للاعتراض عليه، وتهذيبًا– مثلما لقي كتاب سيبويه.

فقد تواردت كثيرٌ من الأخبار عن فضل سيبويه وكتابه من معاصريه قبل اللاحقين له، كلها تشهد لِما للرجل من مكانةٍ وسبقٍ في العربية، ولِما لكتابه من ريادة ومنزلة كبيرة في نفوس العلماء.

فعن منزلة سيبويه ما روي عن بعض شيوخه، وما تمثله شهاداتهم من صدق وخبرة في الحكم على التلاميذ، والشيوخ أدرى الناس بتلاميذهم وبباعهم وقدراتهم العلمية واختلافهم فيها، ومن ذلك:

– ما رواه أحد مُجالِسي الخليل من أنه كان عنده، فأقبل سيبويه فقال الخليل: ((مرحبا بزائر لا يُملُّ)). قال أبو عمرو المخزومي– وكان كثيرَ المجالسة للخليل–: ما سمعتُ الخليل يقولها إلا لسيبويه. (١)

– ما رُوي من أنه ((لما مات سيبويه قيل ليونس– وهو مِن أساتذة سيبويه–: إن سيبويه ألَّف كتابًا من ألف ورقة في علم الخليل، فقال: يونس:

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين (٦٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله؟ جيئوني بكتابه. فلما نظر في كتابه ورأى ما حكى، قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكي عني.)) [١]

كذلك وردتنا من القرن الثالث الهجري أخبارٌ تؤكد هذه المكانة وتلك المنزلة، منها:

- ما روي من أن أبا عثمان بكر بن محمد المازني (٢٤٩ه) قال: ((من أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي.)) [٢]

- وما رواه الجاحظ (٢٥٥ه) من قوله: ((أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك، ففكرتُ في شيء أهديه له فلم أجد شيئًا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي لك شيئًا ففكرت، فإذا كل شيء عندك، فلم أرَ أشرف من هذا الكتاب، فقال: والله ما أهديت إليّ شيئا أحب إليّ منه.)) [٣]

ومن تعظيم العلماء له وإكبارهم إياه أنه ((كان محمد بن يزيد المبرد إذا أراد مريدٌ أن يقرأ عليه كتابَ سيبويه، يقول له: هل ركبتَ البحرَ؟ تعظيمًا له، واستصعابًا لما فيه.)) [٤]

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (٥)

(٢) الفهرست (٥٧)، النديم تح: رضا تجدّد، ١٣٩١ه-١٩٧١م، ص ٥٧، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (٥٦)، أخبار النحويين البصريين (٣٩)، أبو سعيد السيرافي تح: طه محمد الزيني، محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط أولى ١٣٧٤ه-١٩٥٥م

(٣) نزهة الألباء (٥٥).

(٤) أخبار النحويين البصريين (٣٩).

ومثل ذلك ورد عن علماء القرن الرابع، يقول أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ):((إذا تأملتَ الأمثلةَ من كتاب سيبويه تبينتَ أنه أعلم الناس باللغة.)) [١] ويقول أبو الطيب اللغوي (٣٥١هـ): ((وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو.)) [٢]

ومن طريف ما يروى بمناسبة هذه التسمية أن أحد نحاة الأندلس وهو عبد الله بن محمد بن عيسى ((كان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يومًا.)) [٣] كأنما يتلوه تلاوة القرآن.

وإن كنت أرى أن إطلاق لفظ (قرآن) في هذه التسمية ليس كما يتبادر إلى ذهن الكثيرين من كونه الكتاب ذا القدسية في النحو، وإنما يقرب عندي أن يكون بالمعنى الأصلي لكلمة (قراءة) وهو الجمع، أي: جامع النحو.

ويقول أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) عن الكتاب: ((وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به من بعده.)) [٤]

وتستطيع من خلال البحث في مصنفات القرون التالية العثور على مثل هذه الأقوال، وذلك المدح من العلماء في حق سيبويه وكتابه، ومثل هذه المهابة والإجلال نراه – أيضًا– في عيون المحدثين من العلماء على تباعد الزمن بينهم وبين سيبويه وكتابه، ومن ذلك: قول محقق المقتضب عن

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (٧٢)

(٢) مراتب النحويين (٧٣)، أبو الطيب اللغوي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، أولى ١٤١٣هـ-٢٠٠٢م.

(٣) بغية الوعاة (٥٩/٢)، وينظر: مقدمة محقق الكتاب (٢٤/١)

(٤) أخبار النحويين البصريين (٤٨).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبرد ((وفي رأيي أن أثر كتاب سيبويه في نفس المبرد، وثقافته أعمق من كل أثر))[١]

وكذلك قول محمد المختار ولد أباه بعد حديثه عن الخليل بن أحمد: ((... لكن الفضل الأكبر يعود إلى تلميذه سيبويه الذي جمع هذه الأفكار ورتبها في مدونة تعارف عليها أهل الفن بتسميتها بالكتاب، والنحاة حينما يشيرون إلى الكتاب، فإنهم ينظرون إليه، وكأنه المعجزة النحوية التي ليس لأحد أن يأتي بمثلها.))[٢]

ويتعدى ذلكم الأثر الحضارةَ العربية إلى مثيلتها الغربية، فقد جعل المستشرق شاده ما وصل إلينا من علم الأصوات عند العرب خصوصا ما ورد عن سيبويه ((مفخرًا من أعظم مفاخر العرب)) [٣]

تلك العبارة التي يمكن فهمها بصورة أوضح من خلال ما أورده صاعد بن أحمد الأندلسي (٤٦٢ه)، حينما قال: ((ولا أعرف كتابًا أُلِّف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم، وأحاط بجميع أجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب: أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه

---

(١) المقتضب (٢٦/١) المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥ه- ١٩٩٤م

(٢) تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب (٨٠)، د. محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية، ط ثانية ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م.

(٣) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، للمستشرق الألماني أرتو شاده، محاضرة برؤية استشراقية ومراجعة حديثة، د.صبيح حمود التميمي، بحث منشور بآداب الرافدين، العدد ٥٨، لعام ١٤٣٢ه-٢٠١٠م، ص ٦٦

البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له.)) [١]

مما سبق من حديث العلماء عن منزلة (الكتاب) – ومن ثم بيان فضل صاحبه– يمكن بيان ما امتاز به في النقاط التالية:

– أمانة سيبويه في النقل عن شيوخه، فقد أثبت له يونس ذلك فيما رواه عنه، ومن ثم فيما رواه عن شيوخه أجمعين، وفي صدارتهم الخليل.

– أولية الكتاب في علم النحو، مع عدم استطاعة منافسته والإتيان بمثله، يشهد لذلك حديث المازني وأبي سعيد السيرافي عنه.

– صعوبة خوض غماره؛ نظرًا لعمق معالجته، لذلك لا يستطيع المبتدئون إدراك أسراره والوقوف على مراميه، وهو ما رمى إليه المبرد في حديثه عنه.

– يوقفنا (الكتاب) على مدى علم سيبويه، فقد أوتي علما غزيرًا وعزيزًا في الوقت ذاته، للدرجة التي يصفه بها الزجاج بأنه أعلم الناس باللغة، أو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل كما ذكر أبو الطيب اللغوي.

– لسيبويه أثر كبير في الخالفين من بعده، سواءً منهم علماؤنا القدامى أم المحدثون.

ولعل نظرة على المؤلفات والأبحاث والرسائل العلمية التي كان (الكتاب) محورَها تؤكد ما له من أثرٍ كبيرٍ على مرّ تلك القرون، شرحًا، واختصارًا، واستدراكًا، ودرسًا، ونذكر منها على سبيل التمثيل فحسب:

---

(١) ينظر: طبقات الأمم (٣١)، صاعد بن أحمد الأندلسي، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين– بيروت ١٩١٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- شرح الكتاب[١] لأبي سعيد حسن بن المرزبان السيرافي (٣٦٨ه).

- اختصره الجرمي صالح بن إسحاق (٢٢٥ه)، يقول عن ذلك: ((أنا لم أضع كتابًا في النحو، إنما اختصرت كتاب سيبويه)) [٢] وكأنه يرى في اختصاره فضلًا عن التأليف في العلم نفسه، ولعل ذلك من باب إكباره وتعظيمه في نفسه.

- (الرد على سيبويه) [٣] لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ه) وكما هو واضح فإنه اعتراض على بعض ما جاء في الكتاب.

- (المقدمات على الكتاب) [٤] لابن الطراوة، سليمان بن محمد المالقي (٥٢٨ه) ذكرت المراجع له اعتراضات على الكتاب لعلها ضمنها مقدماته.

- لابن الضائع على بن محمد الإشبيلي (٦٨٠ه) [٥] ردٌ على اعتراضات ابن الطرواة.

- فهارس كتاب سيبويه ودراسة له، للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة- القاهرة، ط أولى، ١٣٩٥، ١٩٧٥م.

- دراسات في كتاب سيبويه، للدكتورة/ خديجة الحديثي، بيروت، ١٩٨٠م

---

(١) حققه: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، ونشرته دار الكتب العلمية- لبنان، ط أولى، ٢٠٠٨م
(٢) طبقات النحويين واللغويين (٧٤)
(٣) إنباه الرواه (٢٥١/٣)
(٤) بغية الوعاة (٦٠٢/١) وينظر: مقدمة عبد السلام هارون للكتاب (٤٣/١).
(٥) بغية الوعاة (٢٠٤/٢)

المطلب الثاني:

المصطلحات الصوتية في التراث العربي

لعل من المكرَّر القولَ إن للمصطحات أهميةً كبيرةً في المجالات العلمية، للدرجة التي دعت الخوارزمي (٣٨٧ه) إلى أن يطلق عليها وصف (مفاتيح العلوم)؛ لمّا رأها من أهم الأدوات المعينة على تحصيل العلوم وضبط مفاهيمها.

كما رأى التهانوي (١١٩١ه) ((أن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح [المصطلحات]؛ فإن لكل علم اصطلاحا خاصًّا به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلًا، وإلى انغمامه دليلًا. فطريق علمه إما الرجوع إليهم [الأساتذة] أو إلى الكتب التي جمع فيها اللغات المصطلحة...))[١]

ومن المجالات التي عُني العرب بمصطلحاتها أيما عناية علم الأصوات، ونحسب أن الاصطلاح في هذا المجال صاحَب مرحلة التفكير الصوتي عند العرب، ليس بالمفهوم المنضبط لعلم الأصوات الحديث، وإنما في ضمن الإشارات الواردة عنهم في شأن وصف صوت أو عضو أو غيرهما، والاصطلاح الصوتي بهذه المصاحبة للدرس والبحث سَبَقَ التصنيف في علم الأصوات نفسه، فتصنيف العلوم ((يأتي في مرحلة متأخرة عن موضوعات العلم وأبحاثه، فكانت موضوعات النحو موجودة في

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١)، محمد علي التهانوي، تح. د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط أولى، ١٩٩٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أبحاثه الأولى التي عرفها العلماء قبل سيبويه، ولم يكن علم النحو معروفًا.. كل ذلك يعني أن تصنيف العلوم وتحديدها مرحلة متأخرة؛ ولذا فليس من الغريب القول إن علم الأصوات لم يكن معروفًا قديمًا في العربية ولكن أبحاثه كانت موجودةً))[١]

وإذا كان وَضْعُ المصطلح الدال على العلم نفسه جاء متأخرًا، على يد الإمام ابن جني (٣٩٢هـ) في مقولته الرائدة ((.. ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى؛ لما فيه من صنعة الأصوات والنَّغم.))[٢] إلا أنه يعد سبقًا للعرب في إطلاقه، فقد ((سبق الدرس اللغوي عند علمائنا القدامى كل الدراسات الغربية فى إطلاق مصطلح علم الأصوات على هذا العلم الذى يتناول الصوت من جميع جوانبه مخرجًا وصفةً واتصالًا وانفصالًا، وما ينتج عن كل ذلك من تأثير وتأثر ودلالات وغير ذلك.)) [٣]

وكذلك تحتوى مقدمة (العين) وكذا (باب الإدغام) في كتاب سيبويه، وغيره من الكتب النحوية الكثير من مصطلحات هذا العلم، فإني أرى أن وضع تلك المصطلحات أسبق من وجود تلك المصنَّفات التي وصلتْ إلى أيدينا.

---

(١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١٥)، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر- دمشق، ط ثانية ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

(٢) سر صناعة الإعراب (٩)

(٣) المصطلح الصوتي مشكلاته وأسس ضبطه وتوحيده، د. أحمد على ربيع، بحث منشور بمجلة قطاع كليات اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد الثامن، لسنة ٢٠١٤م المجلد الثاني، ص ٢٠٢١.

فليس من المنهجية العلمية – كما أرى– أن نظن أن المصطلحات الصوتية إنما أُنشئتْ دفعة واحدة على يد الخليل بن أحمد– مع اقتناعنا بما للرجل من عقلية وعلم ومنزلة عالية في علوم العربية لا ينكرها إلا حاجد– لكنّى أرى في هذا الإطلاق ظلمًا لجهود العديد من العلماء الذي سبقوا الخليل، وعَبَّدوا الطريق له، ولم ينل أحدهم حظه من تدوين علمه كما فعل الخليل، وأدلتي على ذلك عديدة منها: أن ظهور هذا الكم الكبير من المصطلحات دفعة واحدة في دقة وإحكام ليس من المبادئ العلمية المعتبرة التي تقتضي انتقال الأشياء – ومنها ألفاظ اللغة– من البدء إلى التطور والارتقاء. ووصول هذه المصطلحات على قدرٍ عالٍ من الدقة والإحكام، قد ينبؤنا عن فترة سابقة، أخذ المصطلح فيها حقه من التنقيح والتشذيب.

كما أنه لا يمكن القول إن المصطلحات الدالة على الجهاز الصوتي من اخترعات الخليل ووضعه، فمعرفة اللسان والحلق وغيرهما من الأعضاء التي لها دور كبير في إنتاج الأصوات، لا يستطيع أن يزعم أحدٌ حداثتها في القرن الثاني الهجري أو ما بعده.

وسوف أعود إلى الحديث عن هذه النقطة مرة أخرى عند التقديم للمنهجية التي سأتبعها في دراسة مصطلحات سيبويه.

لكني أريد– هنا– أن أؤكد على أن الخليل إذا كان في الطبقة الخامسة من طبقات اللغويين والنحويين البصريين – بحسب تقسيم الزبيدي في طبقاته– فإن هناك من الإشارات الواردة عن علماء الطبقات الأربع السابقة من قبله ما يؤكد ما نذهب إليه من أن لهم سهمةً في وضع الكثير من المصطلحات الصوتية التي استقرتْ بآخرة في مصنفات الخالفين لهم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن أقوى هذه الإشارات قصة نقط المصحف على يد أبي الأسود الدؤلي (٦٩ه) وقوله للكاتب المكلَّف بمساعدته في ذلك النقط: ((إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة نقطتين.)) (١)

ورواها أبو عمر الداني بصيغة أخرى ((فإذا فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين.)) (٢)

على وجازة هذه القصة بروايتيها السابقتين فإنها تحمل بين طياتها بعض المصطلحات الصوتية بمفهومها الحديث، في حالة إذا سلمتْ هذه المصطلحات لأبي الأسود نصًّا، وهي: (الفم- الشفتان- الحرف- الحركات- الغنة- الفتح- الضم- الكسر).

ويمكن القول إن (الفتح) هنا يقابل ما يعرف في الدراسات الصوتية الحديثة بالمحايدة في وضع الشفتين، بينما يقابل (الضمُ) الاستدارة، و(الكسر) يقابل ما يعرف بالانفراج، وفي ذلك إشارة واعية تدل على اقتراب أبي الأسود فيما يبدو من معرفة دور الشفتيْن في نطق هذه الحركات، وما لذلك الدور من قيمة في الدرس الصوتي الحديث، يقول د. سعد مصلوح في ذلك: ((ويرتبط بحركة اللسان أثناء إصدار الصوائت عاملٌ آخر على درجة كبيرة من الأهمية، ويعتبر من الملامح المميزة لها، ونعني به هيئة الشفتين،

---

(١) الفهرست (٤٥)

(٢) المحكم في نقط المصاحف (٤) لأبي عمر الداني، تح. دزعزة حسن، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، ثانية، ١٤١٨- ١٩٩٧م.

وما تقوم به العضلات المتحكمة فيها.. من إعطائها شكلًا خاصًّا يتدرج من وضع الاستدارة الضيقة (close rounding) إلى وضع الانفراج (spreading) إلى وضع الحياد (neutral))) [١]

كما أن من طبقة أبي الأسود وما وليها من طبقات علماءً لكل منهم منزلتهم وقدرهم، كعبد الرحمن بن هرمز (١١٧ه) الذي يقال إنه كان أول من وضع العربية، وكان من أعلم الناس بالنحو، وكان له باع في رواية الحديث، وجود القرآن وأقرأه، كما كان يكتب المصاحف. وكذلك نصر بن عاصم (٨٩ه)، ويحيي بن يعمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، وابن أبي عقرب، وعبد الله بن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، والأخفش، وعيسى بن عمر، وغيرهم. [٢]

ومن الملاحظ أن معظم هؤلاء اللغويين والنحاة كانوا من القراء، تلك الطائفة التي مهدتْ ((السبيل لظهور علم الأصوات عند العرب بفضل ما لاحظوه وما أثاروه من مشكلات تتعلق بنطق بعض الكلمات في آيات القرآن الكريم؛ نتيجة لاختلاف اللهجات العربية واختلاف المصاحف، وما لاحظه بعضهم أيضا من تغير في نطق بعض أصوات العربية على ألسنة الأعاجم والمولدين.)) [٣]

وبناءً على ذلك نرى أن كل واحد من هؤلاء العلماء السابق ذكرهم كان ممن أسهموا في وضع أسس علم الأصوات وصَكِّ بعض مصطلحاته،

---

(١) دراسة السمع والكلام (٢٣٧) د. سعد مصلوح، عالم الكتب- القاهرة، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م.
(٢) ينظر: طبقات النحويين واللغويين (٢٦ وما بعدها).
(٣) التفكير الصوتي عند الخليل (٣) د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، ط أولى ١٩٨٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بما أوتوا من دراية باللغة، وفقه لعلومها، إلا أن عدم تدوين بعضهم ما أوتوا مِن علم، وضياع ما دُوِّن بعضهم الآخر- ضمن ما ضاع مِن عيون تراثنا العربي- لا يجعلنا نقف بيقين على هذا الإسهام، وإن كانتْ آثارُه باقيةً في علم تلاميذهم من أصحاب الطبقات التالية، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، فإذا ما انتقلنا إلى (كتاب العين) خصوصًا مقدمته الصوتية وقفنا على كمٍّ كبيرٍ جدًّا من المصطلحات الصوتية، حيث عمل الخليل على إسناد ((ضبط الحقائق العلمية التي اهتدي إليها في هذا المجال إلى مصطلحات استطاعتْ أن تنقلها كما ارتضى وأن تبلغها إلى معاصريه ومن أعقبهم أصدق تبليغ))[١]

ثم يتوج هذا الجهد المصطلحي في مجال الأصوات، بما أورده سيبويه في كتابه في (باب الإدغام) وغيره مما هو مبثوث داخل صفحات (الكتاب)، مما أفاد فيه من علم الخليل الصوتي، وما أسبغ عليه من عقليته وشخصيته العلمية المستقلة، ويتوالى ذلك الجهد وينمو ويتطور على يد الخالفين لسيبويه من أمثال: المبرد، وابن جني وغيرهما، حتى صار علم الأصوات العربي وجهازه الاصطلاحي آيةً من آيات ريادة العرب وسبقهم إلى كثيرٍ من الحقائق الصوتية، خصوصًا تصنيف الأصوات، للدرجة التي يقول فيها المستشرق كاردنر (W.H.T cairdener): ((لقد سبق العلماءُ العربُ الأصواتيينَ المحدثينَ في تصنيف الأصوات حيث أشاروا إلى الأصوات الأسنانية، والحنكية، واللهوية، واللثوية من الصوامت، وقدموا ملاحظاتهم

(١) أثر مصطلحات الخليل الصوتية ومنهجه في دراسات معاصريه، د. المهدي بوروبة، بحث منشور بمجلة الآثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر، العدد الخامس، ص ٢٣، مارس ٢٠٠٦م.

المضبوطة عن المواقع الدقيقة للّسان والحنك متمثلة بأصواتٍ متعددةٍ ... وسلموا بصحة اندراجها تحت فصيلتين هما: المجهورة والمهموسة، وللعرب معرفة كبيرة بالتقسيم الثاني الأساسي للأصوات الصحيحة، حيث يسمّون القسم الأول حروف الشدة، ويقصدون به الأصوات الصحيحة المشددة أو المتوترة. أما القسم الثاني فيسمونه حروف الرخاوة، ويقصدون به الأصوات المرتخية)) [١]

ولنا أن نقف الآن وقفتين مع المصطلحات الصوتية القديمة، أولاهما تختص بسماتها، والثانية من تتناول استثمار المحدثين لها، واتجاهاتهم إزاء هذا الاستثمار.

أولًا- سماتُ المصطلح الصوتي القديم:

يتسم المصطلح الصوتي القديم بالعديد من السمات، شأنه في بعضها شأن مصطلحات العلوم الأخرى، كما أنَّ له سماتٍ خاصةً، تنبع من ارتباطه المباشر بالهدف الديني المتمثل في الحفاظ على أداء القرآن الكريم، وغيرها من خصائص علم الأصوات نفسه، التي تنسرب داخل جهازه الاصطلاحي، ومن هذه السمات ما يلي:

١. التعدد في الدلالة على المفهوم الواحد:

أصيب الجهازُ الاصطلاحيُّ لعلم الأصوات كغيره من أجهزة مصطلحات العلوم الأخرى، بداءِ الترادف المصطلحي منذ القدم، فلا يقف الأمر عند حد اختلاف المصطلحات باختلاف المدارس العلمية المتعددة، كذلك

(١) نقلا عن الصوت اللغوي في القرآن (١٧) د. محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي- بيروت، ط أولى، ١٤٢٠ه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الذي وجدناه بين علماء البصرة والكوفة، فقد ذكر السيرافي – على سبيل المثال– أن الكوفيين ((لم يصنفوا الحروف على ما صنفه سيبويه، ولم يلقبوها كتلقيبه.. فمن ذلك: أن الفراء سمَّى بعض الحروف مصوتًا، وذكر من المصوت: الصاد والضاد. وسمَّى بعضها: أخرس، وذكر منه: التاء والباء. وأظنه أراد بالمصوت ما جرى فيه الصوت، نحو: الصاد والضاد والزاي، والظاء، والذال، والثاء، ونحو ذلك. وأرد بالأخرس الحروف الشديدة التي يلزم اللسان فيها مكانه..))[١]

أي أن ما سمَّاه الفراءُ (المصوت) هو ما يقصد به سيبويه (الرخو)، وما سمَّاه (الأخرس)، يقصد به (الشديد).

ومن ذلك ما ورد – أيضًا– في قول الزجاجي: ((وإنما نَذكُر هذه الأجوبة عن الكوفيين، على حسب ما سمِعْنا مِمَّا يَحْتَجُّ به عنهم مَن يَنصُر مذهبَهم من المتأخِّرين، وعلى حسب ما في كُتُبهم إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم، والمعنى واحدٌ؛ لأنَّا لو تَكَلَّفنا حكايةَ ألفاظِهم بأعيانِها لكان في نقلِ ذلك مَشَقَّةٌ علينا من غيرِ زيادةٍ في الفائدةِ، بل لعلَّ أكثر ألفاظهم لا يَفْهَمُها مَن لم يَنْظُر في كتبهم. وكثيرٌ من ألفاظِهم قد هَذَّبَها مَن نَحكي عنه مذهبَ الكوفيِّين، مثل: ابن كيسان، وابن شقير، وابن الخَيَّاط، وابن الأنباريّ، فنحنُ إنَّما نَحكي علل الكوفيِّين على ألفاظِ هؤلاء ومَن جَرَى مجراهم، مع أنَّه لا زيادةَ في المعنى عليهم، ولا بَخْسَ حظٍّ يَجِبُ لهم.)) [٢].

---

(١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام (٦٠) لأبي سعيد السيرافي، تح: د. صبيح التميمي، دار البيان العربي– جدة، ط أولى، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م

(٢) الإيضاح في علل النحو (١٣١ – ١٣٢)، أبو القاسم الزجاجي، تح. د. مازن المبارك، دار النفائس، ط ثالثة، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

وإنما يتعدى ذلك إلى الاختلاف المصطلحي بين أبناء المدرسة الواحدة، كذلك الذي وجدناه من اختلافٍ مصطلحيٍّ في مجال الأصوات، بين البصريين أنفسهم على سبيل المثال، فبعض المصطلحات الصوتية التي أوردها الخليل لم تكن موضع ترحيب من بعض البصريين كسيبويه والمبرد وغيرهما، سواءً استبدلوا بهذه المصطلحات مصطلحاتٍ أخرى، أم استعملوا المصطلحين: الخليلي والجديد جنبًا إلى جنب في كتبهم. وقد يقع الترادفُ عند العالِمِ الواحدِ، بحسب ما وجدنا من آثارٍ لذلك التعدد عند كلٍّ من الخليل وسيبويه وغيرهما.

ويعلل بعضُهم لذلك التعدد بأن اهتمام علمائنا ((الزائد بتوصيل الفكرة يجرهم أحيانًا إلى إحاطتها بأكثر من مصطلح قصد إزالة ما يكتنفها من غموض، أو الالتباس. ولعل الذي دعا النحاة واللغويين إلى هذا الصنيع هو طبيعة التأليف في القرون الثلاثة الأولى الذي غلب عليه الجانب التعليمي..)) [١]

٢. **عدم عزو كثير من المصطلحات إلى أصحابها**:

يبدو أن تعلق بعض هذه المصطلحات بأعضاء الجهاز الصوتي مما هو مشهور في اللغة كالحلق والشفتين وغيرهما قد يعد من أسباب عدم هذا العزو، كما تُعد كثرة الاستعمال من أقوى أسبابه أيضًا.

وقد علل أحد الباحثين عدم نسبة بعض المصطلحات إلى الخليل بأن تلاميذه ((نظروا إلى مخارج الأصوات وصفاتها على أنها أصول يتحتم على المهتم بالنحو واللغة والقراءة أن يكون على دراية بها، قبل الخوض في

(١) أثر مصطلحات الخليل الصوتية (٢٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قضايا هذه العلوم، ونتيجة لذلك ذاعت مسائل هذا العلم وانتشرت، حتى بلغت مبلغ الحقائق العلمية العامة، التي بعد أن تعم الأسماع تُحفظ وتُنتاقَل بالألفاظ والعبارات المحددة، فيتناسى مكتشفها الأول لكثرة تداولها.)) (١)

بالإضافة إلى أن عناية علماء الأصوات القدامى بالأداء وضبط المفاهيم العلمية وبيان المصطلحات الدالة عليها وشرحها، تعد أكثر من عنايتهم بالجانب التأصيلي لتلك المصطلحات.

١. ينتمي المصطلح الصوتي القديم في معظمه إلى ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث بـ(المرحلة الفسيولوجية) بدءًا مما يدل على أعضاء الجهاز الصوتي كالحلق واللسان وغيرهما، ومرورًا بمصطلحات المخارج وما يتعلق بها، وانتهاءً بمصطلحات الصفات وما يتصل بها. وهو أمر طبعي، ومرده اعتمادُ علمائنا القدامى على الملاحظة الذاتية والاعتماد على السماع، لكنّ ذلك لا يمنع وجود إشارات للمرحلتين الفيزيائية والإدراكية، عند بعض العلماء من ذوي الميول الموسيقية والطبية، من أمثال أبي نصر الفارابي (٣٣٩ه) في استعماله مصطلحات: (الحدة، والثقل، والنغمة الحادة، والثقيلة) الواردة في مثل قوله:((الوتر إنْ كان قصيرًا، وكانت النغمة به حادةً، فإنه متى ازداد قصره كان أزيد حدةً، والطويل تكون به النغمة ثقيلةً، فمتى كان أزيد طولًا، كانت النغمة به أكثر ثقلًا. فبيِّنٌ من ذلك، أنَّ تفاضل الحدة والثقل هو بحسب تفاضل ما به يوجد الثقل والحدة.))(٢)

---

(١) الموسيقى الكبير (٢١٩) الفارابي، تح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

(٢) أثر مصطلحات الخليل الصوتية (٣٢)

وكذلك ابن سينا (٤٢٨ ه) حيث ورد عنده مصطلحات: (القرع، والقلع، والتموج) وغيرها، ويكفي أن نورد هنا نموذجًا لنصٍّ يحوي العديد من المصطلحات التي ينتمي بعضُها إلى تلك المرحلتين، وذلك في قوله: ((ولمتشكك أن يشكك فيقول: إنه كما قد تشككتم في اللمس فجعلتموه قوىً كثيرةً لأنه يدرك متضادات كثيرة، فكذلك السمع – أيضًا– يدرك المضادة التي بين الصوت الثقيل والحاد، ويدرك المضادة التي بين الصوت الخافت، والجهير، والصلب، والأملس، والمتخلخل، وغير ذلك، فلم لا تجعلونه قويًّا؟ فالجواب عن ذلك أن محسوسه الأول هو الصوت، وهذه أعراض تعرض لمحسوسه الأول بعد أن يكون صوتًا. وأما هناك فكل واحدة من المتضادات تحس لذاتها، لا بسبب الآخر. فليكن هذا المبلغ في تعريف الصوت والإحساس به كافيًا.))(١)

٢. دقة المصطلحات مع العناية بالوسائل المعينة على فهمها، كتعريفها، وذكر المعلومات الموسوعية عنها، ولا يمنع ذلك من وجود غموض مصطلحي في بعض الأحيان، سواءً على مستوى المفاهيم، أم التعريف، أم غيرها من المكونات المصطلحية، من مثل ما هو شهير عن غموض تعريف (الجهر) عند سيبويه، مما سيأتي الحديث عنه لاحقًا.

ثانياً- استثمار المحدثين للمصطلحات الصوتية القديمة:

أخذتْ مسألة استثمار المصطلحات التراثية بوجه عام الكثيرَ من النقاشات، وعُقدتْ من أجل تفعيلها العديدُ من الفعاليات، فقد كان التراثُ الوسيلةَ الأولى لتوليد المصطلحات الجديدة – على سبيل المثال– ضمن توصيات ندوة: (توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي) المنعقدة بالرياض عام ١٩٨١م.

---

(١) الشفاء (٨٩) لابن سينا، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كما كان الموضوع عنوانًا لندوة: (المصطلح التراثي بين الإعمال والإهمال) التي نظمتها مجلةُ (المناظرة) بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط والخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط يومي ٢٩- ٣٠ مايو ١٩٩١م، ونُشرتْ مشاركاتُها في العدد السادس من المجلة نفسِها.

ولعلنا إنْ بحثنا عن مسوغات توظيف المصطلحات التراثية ((نجد أنها متشعبةُ المنابع، فمنها ما هو متعلقٌ بتوظيف التراث العربيِّ بوجهٍ عامٍّ، ومنها ما يتعلق بأهمية توظيف هذا النوع من المصطلحاتِ، ومنها ما قد يخصُّ مصطلحات مجالات بعينها.)) (١)

فأما مسوغات توظيف التراث العربي بوجه عام فمنها أن هذا التراث يمثل جزءًا من التاريخ الإنساني وحلقةً من حلقاته، وقد كان المرجعَ الأساسَ للأوروبيين في نهضتهم بعد العصور الوسطي. وأما المسوغات المتعلقة بأهمية توظيف المصطلحات التراثية فمنها: أن علماء النهضة العربية في القرن التاسع عشر ((كانوا يرجعون في تحري المصطلحات العربية إلى كتبنا العلمية القديمة، ويستخرجون منها ما يرون استعماله من ألفاظٍ صحيحةٍ، وقد استطاعوا الانتفاع بجملةٍ صالحةٍ منها، في مختلف العلوم التي عالجوها بالترجمة أو بالتأليف.)) (٢)

كما أن علماء الغرب أنفسَهم لم يستنكفوا من الاعتماد على هذا النوع من المصطلحات، بعد أن أعادوا تعريفها حسب ما يتلاءم مع نظرياتهم الحديثة، وذلك بشهادة المنصفين منهم، ومن المسوغات – أيضًا- ان

(١) المصطلحات التراثية بين إمكانية الاستثمار وعوائق الاستعمال، د. عصام فاروق، بحث منشور بمجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد (٤٨) ص ١٩٣
(٢) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث (٤٥)، الأمير مصطفى الشهابي، دار صادر- بيروت، ثالثة ١٤١٦ه- ١٩٩٥م.

استعمال هذا النوع من المصطلحات يُقِيمُ الفكرَ العربيَّ الحديث على أسس قويه من حضارته، وطبيعة لغتها القومية نفسها.

وأما المسوغات التي تخص المصطلحات الصوتية نفسها، فمنها: أن دقة معظم المصطلحات الصوتية القديمة، وحسن صياغتها، ودلالتها دلالة واضحة على مفاهيمها، والسبق إلى هذه المفاهيم وتلك المصطلحات وغيرها من الأمور التي تعد من حسنات المصطلحية الصوتية القديمة، دعت العلماء عبر القرون المتلاحقة إلى استعمالها وتناقلها وعدم تجاوز كثير منها، وبالمثل كانت زادًا لكثير من علماء الأصوات المحدثين، من مثل الدكتور/ إبراهيم أنيس في كتابه: (الأصوات اللغوية) فقد ترجم الكثير من المصطلحات الصوتية الغربية بنظيرتها من التراث العربي كالجهر والهمس والإدغام وغيرها. وكذلك ((العلامة عبد الرحمن الحاج صالح الذي عمل على إحياء الكثير من المصطلحات الصوتية التراثية في بحوثه الصوتية.))(١) وكذلك أفاد صالح القرمادي في ترجمته كتابَ (دروس في علم أصوات العربية) لجان كانتينو من المصطلحات التراثية بشكلٍ لافتٍ.

ومن المصطلحات التي أفاد منها المحدثون مثلهم كمثل كثير من القدماء سواءً بسواءٍ مصطلحاتُ سيبويه الصوتية، ويشهد بذلك ما سأوردُه في الصفحات التالية.

(١) أثر مصطلحات الخليل الصوتية (٣٣)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثالث:

مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية

(مظاهرها، وآثارها)

قبل أن نشرع في بيان مظاهر مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية وتأثيرها في اللاحقين له، هناك إشكالية منهجية يجب الوقوف أمامها، والحديث عنها بشكل إجمالي تتمثل هذه الإشكالية في أن المصطلحات التي وردتْ في كتاب سيبويه، ربما لا يكون هو منشؤها، أو واضعها، بل من الممكن أن تكون من إطلاق أساتذته، خصوصًا الخليل بن أحمد – وكذلك السابقون عليه– كأنَّ يكون للأخير مصطلحاتٌ لم يضمِّنها مقدمةَ معجمه، أو وَضَعَ مرادفاتٍ لما ورد من مصطلحاتٍ في هذه المقدمة، سمعها منه سيبويه، وأثبتَها في (الكتاب).

وقد يقوي مثل هذا الاحتمال بعضُ الروايات التي حكاها بعضُ العلماء عن الخليل في أمورٍ صوتيَّة، لم تتضمنها مقدمةُ العين، منها ما رواه ابن كيسان – فيما حكاه السيوطي– قال: ((سمعتُ من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة؛ لأنه يلحقها النقص، والتغيير والحذف. ولا بألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة. ولا بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلتُ إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت بها؛ ليكون أحسن في التأليف.)) [١]

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٩٠/١)، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، مكتبة دار التراث– القاهرة، ط ثالثة، د.ت

ولست الآن في معرض التعليق على صحة هذه الرواية من عدمها، ولكنها إذا صحتْ فإنها تهدم ما هو معروف بين العلماء من أن مصطلح الهمس – ومن ثم الجهر– منسوب لسيبويه، وتؤكد ما نتوجس منه من أنَّ هذه المصطلحات قد لا تكون خالصةً لسيبويه.

ومما يزيد صعوبة الجزم بنسبة هذه المصطلحات إلى سيبويه أنه لم يصرح بأنه منشؤها أو ناقلها، ولا يكفي عدم ذكرها عند أحدٍ قبله دليلًا للقول بأنه صاحب هذه المصطلحات وواضعها، خصوصًا أن كثيرًا من أساتذة سيبويه ليس لهم آثارٌ مكتوبة أو حَفِظَها لنا الزمانُ، نستطيع أن نتبين من خلالها حدود نقله منها، ومما يقال في هذا الشأن ((أنه اعتمد على كتابيْ (الإكمال) و(الجامع) لعيسى بن عمر، ولكنّ هذين الكتابين لم يصلا إلينا لنرى مقدار استفادة سيبويه منهما واعتماده عليهما. "[١]

وفي ضوء ذلك فإننا لا يمكننا قبول مثل ما جزم به د. عبد العزيز الصيغ من أن ((مصطلح الانفتاح ذكره سيبويه في كتابه، ولم يذكره أحد قبله، فهو واضع هذا المصطلح، أما الخليل فقد سمى هذا المصطلح مختفضًا.)) [٢]

إذ ما الدليل على أنه لم يذكره أحدٌ قبله؟ ثم ما الدليل على أنه واضعُه؟ وهل مجرد ورود مصطلح آخر عند أستاذه يثبت له هذا الوضع؟

---

(١) أبنية الصرف في كتاب سيبويه (٦٣، ٦٤)، د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة– بغداد، ط أولى، ١٣٨٥ه– ١٩٦٥م

(٢) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١٣٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعلى الرغم من تلك الإشكالية الكبيرة – التي قد أعود إليها في بحث مستقل يعمل على توضيحها وفك متشابكها في وقتٍ لاحق إن شاء الله– فلن أجعلها تقف حجرَ عثرةٍ في طريق البحث عن أسباب مركزية هذه المصطلحات – الواردة في كتاب سيبويه– في التراث العربي، وسبيلي إلى تخطي هذه الإشكالية، عدة أمور أقررها فيما يلي:

١. أن هذه المصطلحات وردتْ في كتاب سيبويه، واشتُهر بين اللغويين والباحثين نسبتُها إليه، يظهر ذلك – على سبيل المثال– من خلال قول المرعشي الذي أراه دقيقًا وموفقًا إلى حدٍّ بعيدٍ: ((الجهر والهمس مصطلحان قديمان اقترن ذكرهما بعالم العربية سيبويه.)) [(١)] فقد يُعتمد على مجرد الاقتران هذا في القول بنسبة هذه المصطلحات لسيبويه، على سبيل التجاوز.

٢. سأعتمد على تحري المصطلحات الصوتية التي وردتْ في كتاب سيبويه، ولم ترد – في الوقت نفسه– عند الخليل في مقدمة معجمه، حتى وإن لم يكن هذا الإجراء قاطعًا في عدم ورودها عن الخليل، من خلال جواز سماعها منه مباشرة من قِبَلِ سيبويه، ولكنها خطوة أراها ضروريةً لمحاولة تجاوز هذه الإشكالية.

٣. عدم وجود ما ينصُّ صراحةً على ذكر المصطلحات عند السابقين على سيبويه أو دليل على ذلك، فيبقي الاحتمال أنه ((ربما يكون ابتدعها أو ابتدع بعضًا منها لأنها لم ترد في النقول عن السابقين، ويمكن أن تنسب إليه

(١) جهد المقل (٦٥)، المرعشي، تح: د. سالم قدوري الحمد، دار عمار– عمان، ثانية ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م

لأنها وردت أول ما وردت في كتابه، إلا إذا قام دليل على أنها كانت قديمة متوارثة.)) [١] فإذا انعدم وجود هذا الدليل فيبقى الحكم بنسبتها احتمالًا قائمًا.

٤. لستُ أول من ينسب إلى سيبويه المصطلحات الواردة في كتابه تجاوزًا – مع الوضع في الاعتبار تلك الإشكالية– فعلي سبيل المثال يقرر د. علي توفيق الحمد أن ((المصطلحات التي نجدها في كتاب سيبويه قد تكون من وضعه واقتراحه هو، وقد تكون من وضع شيخه الخليل، وقد تكون – أيضًا– من أسبق من كليهما، تلقياها عن المؤسسين الأوائل، منذ أبي الأسود وتلامذته ومن تلاهم، كعبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبي عمر بن العلاء، ويونس بن حبيب، وليس غرض البحث أن يحدد نسبة كل مصطلح إلى واضعه، وإنما نعد كل المصطلحات التي حواها الكتاب مصطلحات نضيفها إلى سيبويه، ما دام سيبويه قد استخدمها وارتضاها، وضمنها كتابه، فبحثنا مختص بمصطلحات سيبويه، أي المصطلحات المدونة في كتابه.)) [٢]

وكذلك تحدث د. عبد القادر المهيري عن مثل ذلك فيما يخص المصطلح النحوي، قائلا: ((من المعلوم أن المادة النحوية التي يتكون منها الكتاب بلغت درجة من الاكتمال والنضج ومن الغزارة والشمول ما يحمل على التأكيد بأنها نتيجة مخاض طويل ومجهودات أجيال متعاقبة يمثل الخليل

---

(١) تشكل المصطلح البسيط في كتاب سيبويه بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي، سلام بزي حمزة، بحث منشور بمجلة المعجمية– تونس، العدد ٢٠، سنة ٢٠٠٤م، ص ١٦

(٢) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد، د.علي توفيق الحمد، بحث منشور بمجلة علوم اللغة، المجلد ٩ العدد ١ سنة ٢٠٠٦م، ص ٦٧، ٦٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بن أحمد وسيبويه آخر حلقاتها، وحتى إذا ما سلمنا بما تشير إليه كتب طبقات النحاة من أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي فإن بعض مؤلفي هذه الكتب لم يخف عنهم أن مادة هذا العلم ليست ثمرة مجهود علم واحد من أعلامه..)) [١]

ننطلق من هذه الاعتبارات الأربعة– تجاوزًا– إلى ما ورد في عنوان البحث من قولنا: (مصطلحات سيبويه الصوتية)، باحثين عن مظان وجود هذه المصطلحات في بعض مؤلَّفات التراث العربي، التي حرصتُ أن تغطي امتدادات زمانية ومكانية وحضارية سأقف معها بالتحليل في آخر هذا المطلب.

أولًا- مصطلحات صفات الأصوات:

من المنظومات المفاهيميَّة الصوتية التي وردتْ في كتاب سيبويه تلك التي تعمل على بيان صفات الأصوات، باعتبار تلك الصفات من السمات التمييزية التي تُصنَّف بحسبها الأصواتُ العربيةُ، ويعدّ سيبويه رائدًا في إيراد هذه الصفات وتصنيفها تصنيفًا دقيقًا، وقد اصطلح العلماء– بناء على كثيرٍ مما أورد– على تقسيم تلك الصفات إلى نوعين أساسين، هما:

(أ) الصفات التي لها ضد (المتقابلة):

ورد من مصطلحات هذه الصفات في (الكتاب) ما يلي:

– الجهر والهمس، وردَا بصيغة اسم المفعول للدلالة على الحروف المتصفة بهاتين الصفتين في أكثر من موضع، وذلك في مثل قول سيبويه:

(١) إشكالية التأريخ للمصطلح النحوي، د. عبد القادر المهيري، بحث منشور بمجلة المعجمية، تونس، العددان ٥، ٦ سنة ١٩٩٠ ص ٤٧٧

((هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها، ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها..)) [١] كما وردا بصيغة المصدر للدلالة على الصفة نفسها، في مثل قوله: ((كذلك التاء مع الدال، والدال مع التاء؛ لأنه ليس بينهما إلا الهمس والجهر..)) [٢]

- الشدة والرخاوة، كقوله: ((ومن الحروف الشديدُ وهو الذي يمنع الصوتَ أن يجري فيه، وهو الهمزة.... ومنها الرِّخوة، وهي: الهاء والحاء ...)) إلخ[٣].

وأضاف سيبويه مصطلحًا آخر للتعبير عن مجموعة الأصوات التي لا تتصف بإحدى هاتين الصفتين، هو: (بين الرخوة والشديدة)، في مثل قوله: ((وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء.)) [٤]

- الإطباق والانفتاح (المطبق والمنفتح)، في مثل قوله: ((ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء..)) [٥]

- الاستعلاء والتسفل، في قوله: ((وقالو: قَسَوْتُ وقِسْتُ، فلم يحولوا السين؛ لأنهم انحدروا، فكان الانحدار أخفَّ عليهم من الاستعلاء من أن يصعِّدوا من حال التسفل، وذلك قولهم: الضِّعاف، والصِّعاب..)) [٦]

---

(١) الكتاب (٤/٤٣١) سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ثالثة، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م
(٢) السابق (٤/٤٦٠)
(٣) السابق (٤/٤٣٤)
(٤) السابق (٤/٤٣٥).
(٥) السابق (٤/٤٣٦)
(٦) السابق (٤/١٣٠)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومصطلح (الاستعلاء) ذكره من قبله الخليلُ فيما أورده الأزهري في قوله: ((منها خمس شواخص، وهي: (ط، ض، ص، ظ، ق) وتسمى المستعلية، ومنها تسعة مختفضة، وهن: (ك، ج، ش، ز، س، د، ت، ذ، ث)))[١] ومن الواضح أنه يستعمل مصطلح (الاختفاض) بدلا من (الاستفال أو التسفل).

– التفخيم، في مثل قوله: ((وألف التفخيم، يعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة، والزكاة، والحَيَاة.))[٢] لكني لم أقف على استعمال سيبويه المصطلح المقابل، وهو (الترقيق).

وإذا فتشنا في مواضعَ كثيرةٍ من تراثنا العربي – ليس على سبيل الحصر – وجدنا أن هذه المصطلحات كلَّها أو بعضَها قد تناقلها النحويون في الباب الذي خصوه بالحديث عن الإدغام، سيرًا على ما خطَّه سيبويه من التقديم الصوتي بين يدي هذا الباب النحوي.

لذا فقد وجدنا هذه المصطلحات بأسمائها التي أوردها سيبويه عند كل من: المبرد (٢١٠ه) في كتابه المقتضب (أبواب الإدغام)[٣]، وابن السراج (٣١٦ه) في الأصول في النحو (باب الإدغام)[٤]، والزجاجي (٣٤٠ه) في الجمل في النحو (باب الإدغام)[٥]، والسيرافي (٣٦٨ه) في ما ذكره الكوفيون

---

(١) تهذيب اللغة (٥١/١) الأزهري، تح: مجموعة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

(٢) الكتاب (٤٣٢/٤)

(٣) ينظر: المقتضب (٣٢٨/١)

(٤) ينظر: الأصول في النحو (٣٩٩/٣ وما بعدها)، ابن السراج تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط ثالثة، ١٤١٧ه–١٩٩٦م

(٥) ينظر: الجمل في النحو (٤٠٩) أبو إسحاق الزجاجي، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة– دار الأمل، ط ثالثة، ١٤٠٧ه–١٩٨٦م

من الإدغام[١]، والزمخشري (٥٣٨ه) في المفصل في علم العربية[٢]، وابن الأنباري (٥٧٧ه) في أسرار العربية (باب الإدغام)[٣] وابن يعيش (٦٤٣ه) في شرح المفصل[٤]، وابن عصفور (٦٦٩ه) في الممتع[٥] ورضي الدين الاستراباذي (٦٨٦ه) في شرح الشافية[٦]، وابن عقيل (٧٦٩ه) في المساعد على تسهيل الفوائد[٧]، والسيوطي (٩١١ه) في همع الهوامع[٨]، وابن غياث (١٠٣٥ه) في المناهل الصافية[٩]

وعلل السيوطي لذكر النحويين هذه الصفات بقوله: ((وأما ألقاب الحروف فذكرها النحويون لفائدتين: إحداهما لأجل الإدغام ليعرف ما يدغم في غيره لقربه منه في المخرج والصفة أو في إحداهما، وما لا يدغم لبعده منه في ذلك. والثانية: بيان حروف العربية حتى ينطق من ليس بعربي بمثل

(١) ينظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام (٥٩، ٦٤، ٦٧)
(٢) ينظر: المفصل في علم العربية (٣٩٣ وما بعدها)، الزمخشري ، مطبعة التقدم- مصر، ط أولى، ١٣٢.
(٣) ينظر: أسرار العربية (٤١٨ وما بعدها)، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري، تح: محمد بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٥٧م
(٤) ينظر: شرح المفصل (١٢١/١٠ وما بعدها)، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، د.ت.
(٥) ينظر: الممتع الكبير في التصريف (٤٢٦، ٤٢٧)، ابن عصفور الإشبيلي، تح: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط أولى، ١٩٩٦م
(٦) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب (٢٥٨/٣ وما بعدها)، رضي الدين الاستراباذي، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٢ه-١٩٨٢م
(٧) ينظر: المساعد في تسهيل الفوائد(٢٤٥/٤، ٢٤٦)، ابن عقيل، ، تح: د. محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م
(٨) ينظر: همع الهوامع في جمع الجوامع (٢٨٩/٦ وما بعدها)، السيوطي، تح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ه- ١٩٩٢م
(٩) ينظر: المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية (٣٤٠/٢ وما بعدها)، ابن الغياث، تح: د. عبد الرحمن محمد شاهين، مكتبة الشباب- مصر، دون تاريخ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ما ينطق به العربي، فهو كبيان رفع الفاعل، ونصب المفعول، فكما أن نصب الفاعل، ورفع المفعول لحن في اللغة العربية، كذلك النطق بحروفها مخالفة مخارجها.)) [١]

والفائدة الأولى قد تكون ألصق الفائدتين إلى الوظائف الصرفية كتمهيد لها؛ لذلك ختم سيبويه باب الإدغام بقوله: ((وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات؛ لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك))[٢] أي أن هذا الوصف إنما أتى سبيلًا إلى معرفة حدود الإدغام حسنًا وجوازًا أو عدمهما، لا مقصودًا في حد ذاته، فيما تنحو الفائدة الثانية أكثر ناحية علم الأصوات وهي أقرب ما تكون إلى حدوده.

وكذلك استعمل علماء التجويد والقراءات مصطلحاتِ الصفات السابق بيانها في مصنفاتهم، فقد وردت عند كل من: ابن مجاهد (٣٢٤ه) في السبعة[٣]، ومكي بن أبي طالب (٤٣٧ه) في الرعاية[٤] والمهدوي (٤٤٠ه) في شرح الهداية[٥]، وأبي عمرو الداني (٤٤٤ه) في التحديد[٦]، وعبد

(١) همع الهوامع في جمع الجوامع (٢٩٦/٦، ٢٦٧)
(٢) الكتاب (٤٣٦/٤)
(٣) السبعة في القراءات (١٠٧، ١٠٨)، ابن مجاهد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط ثالثة، ١٤٠٠هـ
(٤) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة (١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٢)، مكي بن أبي طالب تح: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، ثالثة ١٤١٧ه-١٩٩٦م، ص
(٥) شرح الهداية (٧٧، ٧٨)، أبو العباس المهدوي، تح: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٥ه، ج١، ص ٧٧، ٧٨.
(٦) التحديد في الإتقان والتجويد (١٠٥)، أبو عمر الداني، تح: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار- عمان، ط أولى، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م، ص ١٠٥.

الوهاب القرطبي (٤٦١ه) في الموضح في التجويد[١]، وابن الباذش (٥٤٠ه) في الإقناع[٢]، وابن الطحان (٥٦٠ه) في مخارج الحروف وصفاتها[٣]، وأبي المعالي الموصلي (٦٢١ه) في الدر المرصوف[٤]، وابن وثيق الأندلسي (٦٥٤ه) في تجويد القراءة ومخارج الحروف[٥]، وأبي شامة (٦٦٥ه) في إبراز المعاني[٦]، وابن القاصح (٨٠١ه) في سراج القارئ المبتدئ[٧]، وابن الجزري (٨٣٣ه) في التمهيد[٨]، والنشر[٩]، والمرعشي (١١٥٠ه) في جهد المقل[١٠]

---

(١) الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي (٨٧، ٨٨، ٨٩)، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط أولى ١٤١٢ه- ٢٠٠٠م

(٢) الإقناع في القراءات السبع(١٧٤)، ابن الباذش، تح: د. عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة من التراث الإسلامي (الكتاب الثالث والعشرون)، ط أولى ١٤٠٣ه

(٣) مخارج الحروف وصفاتها (٩٣)، ابن الطحان، تح: د. محمد يعقوب تركستاني، بيروت، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م، ص ٩٣

(٤) الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف، أبو المعالي الموصلي، تح: د.غانم قدوري الحمد، مجلة الحكمة، العدد (٢٥)، جمادى الثانية ١٤٢٣ه، ص ٢٣٨، ٢٣٩

(٥) تجويد القراءة ومخارج الحروف، ابن وثيق الأندلسي، تح: د. غانم قدوري الحمد، منشور بمجلة الحكمة، العدد (٣٥)، جمادى الثانية ١٤٢٨ه، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٦) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع (٧٥١، ٧٥٢)، أبو شامة الدمشقي تح: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٩٨ه-١٩٧

(٧) سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي (٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠)، ابن القاصح، مراجعة: الشيخ علي محمد الضباع، مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط ثالثة، ١٣٧٣ه-١٩٥٤م

(٨) التمهيد في علم التجويد، (٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠.) ابن الجزري ، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف- الرياض، ط أولى، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م،

(٩) النشر في القراءات العشر(١/١٦٠، ١٦١)، ابن الجزري، خرج آياته: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤١٨- ١٩٩٨م.

(١٠) جهد المقل، ص ٦٧، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وليس من شك في أن هذا التناقل المصطلحي نابعٌ من مدى العلاقة الوثيقة بين علمي التجويد والقراءات من ناحية وعلم الأصوات من ناحية أخرى فكما كان الخليل – وتلميذه من بعده– رائدًا للدراسات الصوتية، فقد ورد عند بعضهم أنَّ واضعَ هذا العلم ((من الناحية العملية هو النبي – صلى الله عليه وسلم– ومن ناحية وَضْعِ قواعده الخليلُ بن أحمد الفراهيدي وغيره من أئمة القراء واللغة)) (١) وفي صدارتهم وارث علمه سيبويه، فالذي ((لا نشك فيه أنَّ الخليل وتلميذه لم يغفلا مطلقًا، وهما يقننان النظام الصوتي للعربية، عن نطق كتاب الله، وطريقة أدائه، ولم يهملا أي جهد سبقهما به أحد ممن عنى بقراءات القرآن الكريم، وكيفيات تلاوته وأدائه. ومن ثم فقد كان عملهما ذا طابعٍ عامٍّ، أفاد منه دارسُ أصوات القرآن الكريم، كما أفاد منه الباحثُ في أصوات العربية بصورة عامة)) (٢).

كما وردت هذه المصطلحات عند كثير من اللغويين والبلاغيين وعلماء الأصوات في القديم والحديث، فنجدها – على سبيل المثال– عند: ابن دريد (٣٢١ه) في جمهرة اللغة[٣]، وابن جني (٣٩٢ه) في سر صناعة الإعراب[٤] والباقلاني (٤٠٢ه) في إعجاز القرآن[٥]، وابن سينا (٤٢٨ه) في

(١) العميد في علم التجويد (٧) محمود بن علي بسة المصري، تح. محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة– الإسكندرية، ط أولى، ١٤٢٥ه– ٢٠٠٤

(٢) أصوات العربية والقرآن الكريم: منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب المتوفي سنة ٤٣٧هـ، عبد الله ربيع، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية– جامعة الإمام محمد بن سعود– السعودية، العدد (١٠) عام ١٩٨٠م. ص٢٣٢، ٢٣٣

(٣) جمهرة اللغة (٨/١)، ابن دريد مطبعة مجلس دائرة المعارف – حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٤٤ه.

(٤) سر صناعة الإعراب (٦٠/١، ٦١)، ابن جني ، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم– دمشق، ط ثانية ١٤١٣ه– ١٩٩٣م.

(٥) إعجاز القرآن (٦٦، ٦٧)، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب (١٢)، ١٩٥٤م

أسباب حدوث الحروف[١]،وابن سنان الخفاجي (٤٦٦ه) في سر الفصاحة[٢]، والكفوي (١٠٩٤ه) في الكليات[٣]، وبروكلمان في فقه اللغات السامية[٤] (نشر عام ١٣٢٧ه- ١٩٠٦م)، ود. إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية[٥]، وكانتينو في دروس في علم أصوات العربية[٦] (نشر عام ١٩٦٠م)، ود. كمال بشر في علم الأصوات[٧]، ود.محمد علي الخولي في معجم علم الأصوات[٨]، ود. عبد العزيز علام في عن علم التجويد القرآني[٩] ود. رمزي بعلبكي في معجم المصطلحات اللغوية[١٠]، ود. أحمد مختار عمر في

(١) أسباب حدوث الحروف (٨٨، ١٢٨)، ابن سينا، تح: محمد حسان الطيان- يحيي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٢م

(٢) سر الفصاحة (٢٣، ٢٤)، ابن سنان الخفاجي، تح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٣٧٢ه- ١٩٥٣م

(٣) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (١٤٢)، أبو البقاء الكفوي، تح: د. عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط ثانية، ١٤١٩ه- ١٩٩٨م

(٤) فقه اللغات السامية (٤٨، ٤٩)، كارل بروكلمان، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، ١٣٩٧ه-١٩٧٧م

(٥) الأصوات اللغوية (١٢٣ وما بعدها)

(٦) دروس في علم أصوات العربية (٤٩، ٥٠، ٥٣، ١١٦)، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية- تونس، ١٩٦٦م، ص

(٧) علم الأصوات (١٥١، ٣٩٨)، د. كمال بشر دار غريب، ٢٠٠٠م

(٨) معجم علم الأصوات (١٩، ٧١، ١٥٤، ١٦٤)، د. محمد علي الخولي، ط أولى، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م

(٩) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة (١١٩، ١٢٣، ١٢٦.)، د. عبد العزيز علام، ط ثانية ١٤١٧ه- ٢٠٠٦م، ص

(١٠) معجم المصطلحات اللغوية (١٩٨، ٢٧٩، ٥٣١، ٥٣٢)، د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط أولى، ١٩٩٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

دراسة الصوت اللغوي[١]، ود.عبد الفتاح البركاوي في مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني[٢].

وبعد هذه الإحالات التي تثبتُ ما لهذه المصطلحات من مركزية في العقل الجمعي لعلماء الأمة ممن أتوا بعد سيبويه، ومدى تأثرهم بها – وبغيرها كما سأورد بعد ذلك– تأثرًا شديدًا للدرجة التي تؤكد فيها بعضُ الدراسات الحديثة أننا ((لا نجد عند العلماء الخالفين كمكي بن أبي طالب (٤٣٧ه) في الرعاية، والرضي (٦٨٤ه) في شرح الشافية، وابن الجزري (٨٣٣ه) في النشر في القراءات العشر، جديدًا؛ لاكتفائهم بترديد مسميات سيبويه..))[٣]

ولكننا لا نستطيع أن نغفل في هذا السياق عن المفاهيم التي ترمز إليها تلك المصطلحات، وتعريفها، والأصوات المندرجة تحتها، فهل استعمل هؤلاء العلماء السابق ذكرهم هذه المصطلحات بعناصرها المتعددة دون تغيير أو تبديل؟

في الحقيقة نجد أن بعض هذه المصطلحات لم تتغير مفاهيمها عما وردت عليه عند سيبويه، ولنأخذ على ذلك مثالًا يتمثل في مصطلحيْ (الجهر والهمس) والأصوات التي تتصف بهما، عند النحويين السابق ذكرهم ممن تأثر بسيبويه فيهما.

---

(١) دراسة الصوت اللغوي (٣٢٤)، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ١٤١٨ه–١٩٩٧م

(٢) مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني (٩٩ وما بعدها)، د. عبد الفتاح البركاوي، القاهرة، ٢٠٠٢م

(٣) في البحث الصوتي عند العرب (٢٣)، د. خليل العطية، منشورات دار الجاحظ للنشر– بغداد، ١٩٨٣م

وبعيدًا عما ذكره الزجاج من نسبة هذين المصطلحين وتعريفهما أيضًا إلى الخليل بن أحمد، وذلك في قوله: ((.. وهذا يحتاج صاحبه إلى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة، وهي فيما زعم الخليل ضربان: فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، والمهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه وجرى معه النفس.))[١] فقد انبرى غير واحد من باحثينا المحدثين إلى رد هذه النسبة كالدكتور/ عبد العزيز الصيغ[٢]، وكذلك الباحث/ عادل إبراهيم أبو شعر، الذي أحسن في رده ذلك بقوله: ((ومن عادة الزجَّاج فيه أن يَنسِبَ ما في كتاب سيبويه إلى الخليل أو إلى الخليل وسيبويه، ولعلَّ ذلك يَرجِعُ إلى أنَّ هدفَ سيبويه من تأليف كتابه هو إحياءُ عِلْمِ الخليل كما هو مشهورٌ في كتب التراجم فساغ للزجاج أن يَنسبِ ما في كتاب سيبويه للخليل، والله أعلم.))[٣]

وقريب من ذلك ما نجده عند الأزهري في نسبته ما ورد في العين إلى الليث بن المظفر، دون الخليل لقناعته بعدم نسبة الكتاب إلى الأخير.

وبعيدًا – كذلك– عما تحدَّثَ عنه العلماءُ من غموض في محترزات هذا التعريف، فقد وجدنا هذا التعريف نفسه قد ((شاع عند العلماء شيوعًا كبيرًا، وأعيدت عباراته دون تعديل فيها أو تبديل، مما جعله سمة لهذا المصطلح، كما هو تعريف له.))[٤]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤١٩/١) للزجاج، تح. د. عبد الجليل شلبي، طبعة خاصة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية– القاهرة، ١٣٩٤ه–١٩٧٤م.

(٢) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (٨٩)

(٣) المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب– دراسة تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري (٣٧٦)، عادل إبراهيم أبو شعر، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية– جامعة أم القرى، ١٤٢٤– ١٤٢٥ه (نسخة الباحث).

(٤) السابق (٣٧٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فعلى سبيل المثال أورد كلا التعريفين بنصهما، كلٌّ من: ابن السراج، والزجاجي، وابن يعيش، وابن عصفور، وابن عقيل، ونسب الأخير هذين التعريفين إلى سيبويه، ولعل عدم نسبة غيره من النحويين والعلماء مثل هذه التعريفات إليه صراحةً؛ لشهرتها عنه، وارتباطها بكتابه.

ولا يمنع من ذلك أن بعض العلماء قدم تعريفًا آخر متجاوزًا تعريف سيبويه، كالمبرد في قوله: ((ومنها حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها، وهي المجهورة))[١]

وعند عقد مقارنة بين تناول مفهوم الصوت المجهور عندهما ((فقد لوحظ اتفاق المبرد مع سيبويه في أمور:

الأول: اعتمادهما على عملية الترديد للتفريق بين المجهور من الأصوات والمهموس منها، وهي طريقة تعتمد على الملاحظة والتذوق.

الثاني: منع النَّفَس من الجريان، يضيف المبرد أنَّ الترديد في المهموسة لا يمنع النفس. ولو رُمت ذلك في المجهورة لوجدته ممتنعًا. [٢]

الثالث: اعتماد الموضع، لكنّ ذِكْر المبرد للاعتماد وَرَدَ في كتابه (الكامل). [٣]

الرابع: الأصوات الموصوفة بالجهر واحدة عندهما أو لنقل لم يتجاوز المبرد ما أورده سيبويه منها. [٤]

---

(١) المقتضب (١/٣٣٠).
(٢) السابق (١/٣٣١).
(٣) الكامل (٣/٧٥٥).
(٤) المصطلح الصوتي عند المبرد في المقتضب- مصادره ودلالاته (٨٦، ٨٧) د. عصام فاروق، بحث منشور بمجلة مركز الخدمة الاستشارية البحثية، بكلية الآداب جامعة المنوفية، يونيه ٢٠١٢م.

بينما زاد المبرد قيدًا مهمًّا هو: (ارتداع الصوت) وهو بذلك ((قد لجأ في تعريفه هذا إلى التجربة العملية كما يبدو، فأحس أنَّ الصوت المجهور يهتز معه الوتران الصوتيان، مما يسمع معه مثل الارتداع.)) [١] كما أنه بذلك أشار إلى ((تلك الخاصية السمعية التي تتصل بالصوت وتعرف حسب الاصطلاح الحديث باسم التردد، وتشير إلى الذبذبات التي تهتز معها الأوتار الصوتية، فيسمع معها مثل هذا التردد. وهو ناتج – بحسب المحدثين– عن اهتزاز الأوتار الصوتية ويتراوح عادة ما بين (٦٠– ٤٠٠ هرتز).)) [٢]

ولنأخذ مثالًا آخر على عدم اقتصار تأثر الخالفين لسيبويه على إيراد المصطلح فقط، وإنما مفهومه أيضًا، بـ(الشدة والرخاوة) عند علماء التجويد والقراءات، فقد بين سيبويه مفهومي المصطلحين بقوله : ((ومن الحروف الشديدُ وهو الذي يمنع الصوتَ أن يجري فيه، وهو الهمزة.... ومنها الرِّخوة، وهي: الهاء والحاء ... وأشباه ذلك أجريتَ فيه الصوت إن شئت."[٣].

ويتضح من هذا النصِّ وغيره مما تناولوا هذين المصطلحين بالحديث أن ((الصوت الشديد عند سيبويه لابدَّ أن يتوفَّر فيه شرطان:

١ ــ لُزُومُ العُضوِ النَّاطِقِ مَوْضِعَهُ، بحيث يَقف كالسَّدِّ والجدار أمام الصَّوت.

---

(١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (٩١).

(٢) المصطلحات الصوتية والنحوية عند البصريين في القرنين الثاني والثالث الهجريين (١١٢) زهيرة قروي، رسالة دكتوراة بكلية الآداب واللغات بجامعة منتوري– قسنطينية ٢٠٠٧– ٢٠٠٨م.

(٣) الكتاب (٤/٤٣٤، ٤٣٥)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢ــ منع الصَّوت من الجرَيان.)) [١] وبفقدهما أو أحدهما تتحقق صفة الرخاوة أو بين الشدة والرخاوة.

وبمطالعة مصنَّفات علماء التجويد والقراءات ممن ذكرتُهم من قبل ألاحظ عدم خروج كلامهم عن مضمون كلام سيبويه مع تغيير في بعض الأحيان في لفظه، مضمنين إياه هذين الشرطين، كمكي في قوله: ((ومعنى الحرف الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه، وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند النطق به.))[٢]، والمهدوي: ((.. وأما الشديدة التي لا يخالطها الصوت فهي ثمانية أحرف، يجمعها قوله: أجدك قطبت. فهذه الحروف اشتد لزومها فامتنع الصوت أن يخالطها.)) [٣]

(ب) الصفات التي لا ضد لها (غير المتقابلة):

ورد من المصطلحات الدالة على هذه الصفات في الكتاب ما يُطلق على مجموعة من الأصوات، هي:

- التفشي، في قوله: ((والشين لا تدغم في الجيم؛ لأن الشين استطال مخرجها حتى اتصل بمخرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحوًا من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها والتفشي.)) [٤] .

- الصفير، في قوله: ((.. وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع..)).[٥]

---

(١) المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي (٤٣٤، ٤٣٥)
(٢) الرعاية (١١٧)
(٣) شرح الهداية (٧٨/١)
(٤) الكتاب (٤٤٨/٤)
(٥) السابق (٤٦٤/٤)

– القلقلة، في قوله: ((واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال والباء...)) [١]

– اللينة، في قوله: ((ومنها اللينة، وهي الواو والياء؛ لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما، كقولك: وأيّ، وإن شئت أجريت الصوت ومددت.))[٢]

والأخير من المصطلحات التي وردتْ من قبلُ عند الخليل، وذلك في قوله: ((وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا مدارج الحلق....)) [٣]

لكن من الواضح أن إطلاق سيبويه هذا المصطلح على الواو والياء يختلف عن إطلاق الخليل إياه على الأصوات الثلاثة. ويعلل أحد المحدثين ذلك بقوله: ((فحيث عدّ الخليل اللين شدة اتساع المخرج، عده سيبويه اتساع مخرج الصوت دون مخرج الألف.. وكأن اللين عند سيبويه هو اتساع مخرج الصوت دون اتساع مخرج الألف، وأكثر من اتساع مخارج الأصوات الأخرى)) [٤]

---

(١) الكتاب (١٧٤/٤)
(٢) السابق (٤٣٥/٤)
(٣) العين (٥٧/١)
(٤) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١٦١)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– الاستطالة، في قوله: ((لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء.)) (١)

– الخفاء، في قوله: ((.. وهذه الثلاثة أخفى الحروف؛ لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجا: الألف، ثم الياء، ثم الواو.)) (٢) وقوله: ((.. لأن الهاء من مخرج الألف، وهي في الخفاء نحو الألف ولا تسكنها.)) (٣)

ومنها ما يطلق على أصوات مفردة، وهي:

– المنحرف، في قوله: ((وأما المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت.. وهو اللام.)) (٤)

– المكرر، في قوله: ((ومنها المكرر وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافَى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء)). (٥)

– الغنة، في قوله: ((ومنها حرف شديد يجري معه الصوت؛ لأن ذلك الصوت غنة من الأنف.. وهو النون وكذلك الميم.)) (٦)

– الهاوي، في قوله: ((ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو.. وهي الألف.)) (٧)

---

(١) الكتاب (٤/٤٥٧)
(٢) الكتاب (٤/٤٣٦)
(٣) السابق (٤/١٩٣)
(٤) السابق (٤/٤٣٥)
(٥) السابق (٤/٤٣٥)
(٦) السابق (٤/٤٣٥).
(٧) السابق (٤/٤٣٦)

ووردتْ هذه المصطلحات كلها أو بعضها عند:

طائفة من النحويين من مثل: المبرد، وابن السراج، والسيرافي، والزمخشري، وابن الأنباري، وابن يعيش، وابن عصفور، ورضي الدين الاستراباذي، وابن عقيل، والسيوطي، وابن غياث [١]

وطائفة من علماء التجويد والقراءات: كابن مجاهد، ومكي بن أبي طالب، والمهدوي، وأبي عمرو الداني، والقرطبي، وابن الباذش، وأبي المعالي الموصلي، وابن وثيق الأندلسي، وأبي شامة، وابن القاصح، وابن الجزري، والمرعشي ومكي نصر (١٣٢٢ه)[٢]

وطائفة من اللغويين والبلاغيين وعلماء الأصوات في القديم والحديث: كابن جني، ابن سينا، ، ود.إبراهيم أنيس، وكانتينو، ود. عبد العزيز علام، ورمزي بعلبكي، ود.عبد الفتاح البركاوي. [٣]

- فأما مصطلح (التفشي) فقد وصف سيبويه به الشين، لكنه أورده في مواضع أخرى، واصفا به أصواتًا أخرى، كقوله في الراء: ((والراء لا تدغم

(١) ينظر على الترتيب السابق: المقتضب ٣٢٩/١، ٣٣٠، ٣٣٢، الأصول ٤٠٣/٣، ٤١٧، ما ذكره الكوفيون ٦٢، ٦٤، المفصل في علم العربية٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، أسرار العربية ٤٢١، ٤٢٥، شرح المفصل ١٢٩/١٠، ١٣٠ الممتع ٤٢٧، في شرح الشافية ٢٥٨/٣، ٢٦٦، ٢٧٠، المساعد على تسهيل الفوائد ٢٤٤/٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩ همع الهوامع ٢٩٠/٦، المناهل الصافية ٣٤٠/٢.

(٢) ينظر على الترتيب السابق: السبعة ١٠٧، الرعاية ١٢٤، ١٣١، ١٣٤، شرح الهداية ٧٩/١، التحديد ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ الموضح في التجويد ٩٢، ٩٦، ٩٧، الإقناع ١١٧، ١٧٤، ١٧٥، الدر المرصوف ٢٤٠، ٢٤١، تجويد القراءة ومخارج الحروف ٣٥٦، إبراز المعاني٧٥٣

(٣) ينظر على الترتيب السابق: سر صناعة الإعراب ٤٨/١، ٦٣، ٨١٧/٢، والخصائص ٣٢٨/٢، أسباب حدوث الحروف ٧٨، سراج القارئ المبتدئ ٤٠٨،٤١٠، التمهيد ٩٥، ٩٦، ٩٧، والنشر١٦٠/١، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، جهد المقل ١٥٦، ١٥٨، ١٦٣ ، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، ضبطها وصححها وخرج آياتها: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية- بيروت، أولى، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م، ص ٤٦، الأصوات اللغوية ٥٧، ٦١، دروس في علم أصوات العربية ٣٨، ٦١، عن علم التجويد القرآني ٩٦، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، معجم المصطلحات اللغوية ٤٣٥، ٥١٢، مقدمة في أصوات اللغة العربية ١١٤، ١١٩، ١٢٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في اللام ولا في النون؛ لأنها مكررة، وهي تَفَشَّى إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشَّى في الفم مثلها ولا يكرَّر.))[١] وقوله في الثاء: ((لأنها ليست كالظاء في الجهر والفشو في الفم.)) [٢]

ومن الواضح أن لهذا المصطلح أكثرَ من مفهوم عند سيبويه، خَصَّ بواحد منها الشين، وهو ما شاع عند اللاحقين له، وقيده مكي بن أبي طالب بالتعريف في قوله: ((ومعنى التفشي: هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها.)) [٣] ويبدو أن التفشي مختص بالشين لزومًا، بمعنى ملازمة تلك الصفة لهذا الصوت، وقد تابعه في هذا التخصيص كثيرون.

ويبدو من عبارة المبرد في وصف الشين والضاد أنه يقصد هذه الملازمة أيضًا، وذلك في قوله: ((.. والحرفان اللذان يبعدان من مخرجها ويتصلان بها في التفشّي الذي فيهما: الشين، والضاد. فأما الشين فتخرج من وسط اللسان من مخرج الميم، والياء، ثم تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام.. والإدغام في الضاد والشين أبعد، لما ذكرت لك من تراخي مخارجهما، وهو جائز.)) [٤]

وتعد عبارة (التفشي الذي فيهما) دالةٌ على ملازمة تلك الصفة للضاد أيضًا، لكن ذلك ليس موضع اتفاق بين العلماء، كما هو في حديثهم عن الشين، يقول ابن عقيل: ((..والتفشي: السين باتفاق، والضاد باختلاف.))[٥]

---

(١) الكتاب (٤/٤٤٨)
(٢) السابق (٤/٤٨٠)
(٣) الرعاية (١٣٥)
(٤) المقتضب (١/٣٤٨، ٣٤٩).
(٥) المساعد (٤/٢٥٠).

كما أن للتفشي مفهومًا آخر، سوَّغ لمن جاء بعد سيبويه إطلاقَه على أصوات غير الشين- وشجعهم على ذلك وصفه غير الشين بذلك- يتمثل هذا المفهوم في الانتشار الزائد للهواء في بعض الحروف المهموسة الرخوة، فقد استعمل السيرافي التفشي للسين والشين والفاء[١]، وتابعه مكي في الشين والفاء[٢].. واستعمل ابن جني الفشو للصاد والسين[٣]..

ومن الواضح أن تعدد مفاهيم هذا المصطلح عند سيبويه وغيره، وعدم استقراره ظل مستمرًا عند كثير من العلماء من بعده، فيبدو أن ((صفة التفشي لم تستقر مصطلحًا محددًا إلا في وقت متأخر، فقد كانت تستعمل في القرون الأولى بمعناها اللغوي، وهو ما نجده عند سيبويه والمبرد وغيره، أما المحدثون فقد استعملوه بعد أن استقر، ولذا نجده في كتبهم صفة مخصوصة بصوت الشين فقط.)) (٤) وتابعوا في ذلك تعريف مكي السابق ذكره.

- وأما مصطلح الصفير، فيطلق صفةً للحروف الثلاثة: الصاد والسين والزاي، ولا نجد اختلافًا في هذا المصطلح أو مفهومه وإطلاقه عند الخالفين لسيبويه، اللهم إلا ذكرهم تعليل تسمية المصطلح بهذا الاسم، فقد ذكر مكي أنها ((سميت بحروف الصفير؛ لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير)) [٥]

---

(١) ينظر: إدغام القراء (٤٤، ٤٥)
(٢) الرعاية (٢٢٧)
(٣) المحتسب (١٦٥/١)
(٤) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١٨٣)
(٥) الرعاية (١٢٤)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– وأما مصطلح القلقلة، فقد أطلقه سيبويه صفةً لخمسة من الأصوات، هي: القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء. وبفحص حديثه عن هذه الصفة وأصواتها، نجد أنه يحمل عدة قيود، هي: السبب المقتضي لاتصاف هذه الأصوات بالقلقلة، والسياق الذي تتحقق من خلاله، ووجود صوت يسمع بعدها سماه (الصويت)، ودرجات القلقلة، وأصواتها. (١)

وفيما يخص الأصوات المتصفة بهذه الصفة فقد وافق كثيرٌ من العلماء على ما ذهب إليه سيبويه من تخميسها، كابن جني، ومكي، والداني وابن يعيش.

إلا أن المبرد قد استدرك على سيبويه صوتًا آخر يضاف إلى هذه أصوات القلقلة الخمسة، وهو الكاف. ويبدو أنَّ المبرد كان موفقًا – في رأيي– في إضافة هذا الصوت؛ وهو ما تثبته بعض الدراسات الحديثة، التي لم تشترط – كما يشترط كثير من العلماء والقراء– جهر الصوت المقلقل بالإضافة إلى شدته، يقول د. كمال بشر: ((ومهما يكن الأمر، فنحن بعد نظر متأنٍّ ومراجعة لموضوع القلقلة مرة ومرات، استقر رأينا على أنَّ صفة الجهر للأصوات الشديدة التي تقلقل ليست ضرورية، ولا ينبغي اشتراطها بحال لقلقلة الصوت الشديد. فالقلقلة لا تعدو أنْ تكون تحريكًا بصويت أو نبرة أو حفزًا للصوت إكمالًا لنطقه بتمامه.)) (٢)

ومن هنا يظهر اختلاف الضابط الذي بَنى عليه كلٌّ من سيبويه والمبرد عملية القلقلة، فإذا كان هو (((الصُّوَيت) أو (النَّبرة) أو (الصوت الزائد) أو (الصوت) فإنَّ رأي المبرد صحيح؛ لأنَّ التجربة العملية تُدخِل

(١) ينظر: الكتاب (١٧٤/٤ وما بعدها).
(٢) علم الأصوات (٣٩٠).

الكاف بل التاء أيضًا. أما إذا كان الضابط هو اجتماع صفتيْ الجهر والشدة؛ فإنَّ رأي علماء التجويد هو الأصح)) [١]. وهم في ذلك تابعون لسيبويه.

– وأما مصطلح (الاستطالة)، فأطلقه سيبويه صفة للشين والضاد، وذلك لما فيهما من الرخاوة التي جعلتهما يتصلان بمخارج حروف طرف اللسان، وجوزت إدغامهما فيها، وتابعه في ذلك كثير من العلماء ممن أسلفتُ ذكرهم.

وقد قصر بعض العلماء بعد سيبويه هذه الصفة على الضاد فقط، ولعل ((الرماني أول من ذكر أن الضاد وحده هو الحرف المستطيل.. قال: والمستطيل: الضاد.)) (٢) وتابعه أكثر علماء التجويد كمكي، والداني، والقرطبي، وابن الطحان وغيرهم. لكنهم وإن قصروا الاستطالة على الضاد فقط إلا أنهم لم يجاوزوا عبارة سيبويه في مفهوم الاستطالة، بخلاف أبي العلاء الهمذاني، في قوله: ((والمستطيل: الضاد، سمي بذلك، لاتصاله من موضعه بالإطباق.))(٣) فجعل الإطباق هو السبب في الاستطالة.

– وأما مصطلح الخفاء، فقد وصف به أربعةً من الأصوات، هي: الألف، والواو ، والياء، والهاء. ويبدو أن مفهوم الخفاء متعدد أيضًا عند سيبويه، فمثلما وصف به الأصوات السابق ذكرها ((لأنها تُخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها)) [٤] أو ((لاتساع مخرجهن)) [٥] على حد قول القرطبي، وصف به أيضًا الميم والنون في قوله عن الميم: ((ومثل ذلك قولهم: ثَمّه؛ لأن في هذا الحرف ما في (أيْنَ) أن ما قبله ساكن، وهي خفية كالنون، وهي

---

(١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١٥٦).

(٢) المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي (٥٠٨)

(٣) التمهيد في معرفة التجويد (٢٥٣) لأبي العلاء الهمذاني، تح. جمال الدين محمد شرف، ومجدي فتحي، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٤) المفصل (٣٩٦)

(٥) الموضح (٩٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أشبه الحروف بها في الصوت، فلذلك كانت مثلها في الخفاء)) (١) إلا أن يقصد بها الغنة، ولعل هذا التعدد هو ما سمح للزمخشري بإطلاقه على التاء[٢]

لكن يبقى أن سيبويه ((واضع هذا المصطلح بهذا المعنى، وناشر معانيه، ولا يكاد يخرج كلام من جاء بعده عن كلامه إلا في توضيح بعض الألفاظ.)) [٣].

– وأما مصطلح (الانحراف) فقد أورده سيبويه وصفًا للام؛ لانجرف اللسان معه، وقد تابعه في ذلك الكثيرون، لكننا نلاحظ أن المبرد أطلق هذا الوصف أيضًا على (العين) في قوله:((كالعين التي يستعين المتكلم عند اللفظة بها بصوت الحاء، والتي يجري فيها الصوت؛ لانحرافها واتصالها بما قد تقدمنا في ذكره من الحروف.))[٤] ولكنه ((لم يعنِ به ما يفهم من المصطلح؛ فقد خصَّ هذا المصطلح باللام، متبعًا سيبويه في ذلك، وهو ما نجده عند العلماء بعده كابن جني)).(٥)

كما أطلقه مكي أيضا على الراء مع اللام مع قصده المعنى الوارد عند سيبويه نفسه، وذلك في قوله: ((حرفا الانحراف، وهما اللام والراء، وإنما سميا بذلك لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما، وعن صفتهما إلى صفة غيرهما))(٦)

---

(١) الكتاب (١٦١/٤)
(٢) الرعاية (١٢٧)
(٣) المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب (٥٦٧، ٥٦٨).
(٤) المقتضب (٣٣٢/١).
(٥) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١٧٧).
(٦) الرعاية (١٣٢).

ولعل ما دعا مكيًّا إلى ذلك هو وصف سيبويه نفسه، فعند وصفه الصوت المكرر، الذي هو الراء، قال: ((وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام...)) (١)

- وأما مصطلح (التكرار) فقد أطلقه سيبويه وصفًا للراء، وهذا ((المصطلح بهذا المعنى الذي وصفه سيبويه استعمله علماء العربية دون تغيير يذكر عدا إيضاحهم معنى التكرير.))[٢]. كالمبرد، والزجاج، والنحاس، وابن خالويه، والفارسي، وابن جني، والداني.

- وأما مصطلح (الغنة) فهو عنده وصف للنون والميم، وعلى ذلك جل العلماء من بعده. وقد ورد هذا المصطلح عند الخليل(٣) من قبل لكنه لم يحدد المراد بالأصوات الموصوفة بهذه الصفة سوى النون، كما أن كلامه فيها غامض.

- وأما مصطلح (الهاوي) فأطلقه سيبويه وصفًا لصوت الألف، وذلك لاتساع المخرج للهواء اتساعًا يفوق اتساع مخرج أخويه الواو والياء، وعلى ذلك معظم العلماء بعده. كالمبرد، وابن السراج، والرماني، وابن جني، ومكي، والداني، والقرطبي.

تعقيب:

يتضح مما سبق أثر المصطلحات السابق معالجتها مما ورد عند سيبويه في الخالفين من بعده، فلم يزدها بعضهم إلا توضيحا، أو استدراكا بسيطا، لا يرقى لإحداث تغيير حذري في المصطلح السيبويهي.

---

(١) الكتاب (٤٣٥/١).

(٢) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١٨٣)

(٣) ينظر: العين مادة (غ. ن).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانياً- مصطلحات أعضاء النطق والمخارج:

ورد من هذه المصطلحات – في باب الإدغام على وجه التحديد– ما يلي: (المخرج/ المخارج، الموضع، المنفذ، المعتمد، الحلق، الحلقية، أقصى [الحلق]، أوسط الحلق، أدنى [الحلق]، المخرج الثاني من الحلق، المخرج الثالث من الحلق، الفم، اللسان، أقصى اللسان، وسط اللسان، ظهر اللسان، ناحيتي مستدق اللسان، الجانب الأيمن، الجانب الأيسر، حافة اللسان، أول حافة اللسان، أدنى حافة اللسان، طرف اللسان، منتهى طرف اللسان، الحنك، الحنك الأعلى، وسط الحنك الأعلى، الأضراس، الضاحك، الناب، الرباعية، الثنية، فويق الثنايا، أصول الثنايا، أطراف الثنايا العلى، الشفتان، الشفة السفلى، باطن الشفة السفلى، الخياشيم، الصدر[١])

وقد وردت هذه المصطلحات كلها أو بعضها عند كلٍّ من:

طائفة من النحويين، مثل: المبرد، وابن السراج، والزجاجي، وابن يعيش، وابن عصفور، ورضي الدين الاستراباذي، وابن عقيل، والسيوطي، وابن غياث[٢]

---

(١) علق شاده على ضم سيبويه الصدر إلى الجهاز النطقي، بقوله: "ويظهر من بعض ما يقوله في كتابه أنه يعد من آلات النطق الصدر أيضا، وليس ذلك غلطا؛ لأن الصدر يحتوي على الرئة، والرئة هي مصدر النفس، الذي هو جوهر كل صوت لغوي." علم الأصوات عند سيبويه وعندنا (١٩) بتصرف يسير.

(٢) ينظر على الترتيب السابق: المقتضب ٣٤٢/١، ٣٥٦، الأصول ٤٠٠/٣، ٤١٧، الجمل ٤١٠، ٤١١، شرح المفصل ١٢٤/١٠، ١٢٥٧٥٠ الممتع ٤٢٤، ٤٢٥، شرح الشافية ٢٥١/٣، ٢٥٢، المساعد على تسهيل الفوائد ٢٤٠/٤، ٢٤١، ٢٤٤، همع الهوامع ٢٨٨/٦، ٢٨٩ المناهل الصافية ٣٣٢/٢، ٣٣٤

طائفة من علماء التجويد والقراءات: كابن الباذش، وأبي عمرو الداني، والقرطبي، والزمخشري، وابن الأنباري، وأبي المعالي الموصلي، وابن وثيق الأندلسي، وأبي شامة، وابن القاصح، وابن الجزري والمرعشي ومكي نصر[١]

طائفة من اللغويين والبلاغيين وعلماء الأصوات في القديم والحديث: يعقوب الكندي (٢٥٦ه)، وابن جني، ابن سينا، وابن سنان الخفاجي، ود.إبراهيم أنيس، وكانتينو، ود. كمال بشر، ود. عبد العزيز علام، ورمزي بعلبكي. [٢]

وبالنظر إلى المصطلحات السابقة ومدى مركزيتها في التراث اللغوي العربي نجد أنها:

- إما مصطلحات مسبوقٌ بها دون اختلاف عنده، ومنها: (المخرج، الحلق، أقصى الحلق، اللسان، ظهر اللسان) فقد سبقه بها الخليل بن أحمد

(١) ينظر على الترتيب السابق: الإقناع١/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، التحديد ١٠٢، ١٠٣، الموضح في التجويد ٧٨، ٧٩، المفصل في علم العربية٣٩٣، ٣٩٤، أسرار العربية ٤٢٠، ٤٢١، في الدر المرصوف ٢٣٧، ٢٤١، تجويد القراءة ومخارج الحروف ٣٥١، ٣٥٢، إبراز المعاني٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٨، سراج القارئ المبتدئ ٤٠٥، ٤٠٨، التمهيد ١٠٦، والنشر١/١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، جهد المقل ١٢٨، ١٣٠، ١٣٨، نهاية القول المفيد ٣٦، ٣٧، ٤٠

(٢) ينظر على الترتيب السابق: رسالة يعقوب الكندي في اللثغة، تح. د. محمد حسان الطيان، ضمن كتاب تحت راية العربية، دار الثقافة والتراث- دمشق، ط أولى ١٤٢٨- ٢٠٠٨م، ص ١٨، ٢٠، سر صناعة الإعراب ٤٧/١، أسباب حدوث الحروف ٧٠، ٨٣، سر الفصاحة ٢٢، ٢٣، الأصوات اللغوية ١٩، علم أصوات العربية ٦٠، ١١٦، علم الأصوات ١٣٨، عن علم التجويد القرآني ٥٩، معجم المصطلحات اللغوية ٨٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الفراهيدي فيما أورده في مقدمة العين[١] ، و(الفم، الشفة) فقد سبقه إليهما أبو الأسود الدؤلي – فيما أوردته من رواية عنه من قبل– وكذلك الخليل.[٢]

– وإما مصطلحات مسبوقٌ بها مع اختلافه فيها، ومنها: (الحلقية) دلالة على المخرج الأول من مخارج الأصوات، فقد أطلقها الخليل على: (العين والحاء، والهاء، والخاء، والغين) [٣] بينما أضاف إليها سيبويه صوتي: الهمزة، والألف، وتبعه في ذلك كثير ممن أتوا بعده. ممن ذكرتُ طرفا منهم من قبل.

– وإما مصطلحات وضعها مرادفةً لمصطلحات سابقة، كـ(وسط الحنك)، الذي رادف به مصطلح (شجر الفم) الوارد عند الخليل في قوله: ((والجيم والشين والضاد شجرية؛ لأن مبدأها من شَجْر الفم.)) [٤]

– وإما مصطلحات لسيبويه غير مسبوق بورودها عند غيره، وهو القطاع الكبير من المصطلحات السابق ذكرها، كأوسط الحلق، وأدنى الحلق، وأقصى اللسان، ووسط اللسان، وأول حافة اللسان، وناحيتي مستدق اللسان، وحافة اللسان، والجانب الأيمن [للسان]، والجانب الأيسر [للسان]، أدنى حافة اللسان، طرف اللسان، منتهى طرف اللسان، وسط الحنك الأعلى، الأضراس، الضاحك، الناب، الرباعية، الثنية، فويق الثنايا..إلخ

– وإما مصطلحات غيَّرها مَن بعده أو رادفوا بها مصطلحاته، أو زادوا قيدًا فيها، أو نقصوا قيدا منها، ولكنّ هذا النوع من المصطلحات قليل. كـ(أول مخارج الفم، ووسط الحلق) اللذين استعملهما المبرد بدلا من

(١) ينظر: مقدمة العين (٥٢/١، ٥٧، ٥٨)
(٢) ينظر السابق (٥٨/١)
(٣) ينظر: السابق (٥٧/١)
(٤) السابق (٥٨/١)

مصطلحي: (أقصى اللسان، وأوسط الحلق) عند سيبويه، وكذلك (أعلى الحلق) بدلا من مصطلح (أدنى الحلق) في استعمال الهمذاني في قوله: ((ثم من أعلى الحلق مخرج العين والحاء)) [١]

– وبدلا من مصطلح (منتهي طرف اللسان) استعمل القرطبي (مستدق طرف اللسان) في تحديد مخرج اللام [٢]، وكذلك مصطلح (وسط الحنك الأعلى) تابعه الكثيرون بلفظ (وسط الحنك) دون كلمة الأعلى لأنها مفهومه ضمنًا، وكذلك مصطلح (فويق الثنايا) زاد ابن السراج (السفلى) في تحديده مخرج الزاي والسين والصاد[٣].

– لكن يبقى أن مثل هذه الزيادات والتغييرات محدودة من حيث الأثر المفهومي للمصطلح، ومن حيث مستعمليه، حيث يبقي لمصطلحات سيبويه اليد الطولى والمركزية الواضحة في مجال علم الأصوات إن على مستوى اللفظ أو المفهوم.

– وقد لا تكون مظاهر هذه المركزية مقصورةً على أخذ مصطلحات سيبويه فقط، بل إننا وجدنا ملامح لها – أيضا– في ترك بعض المصطلحات أو عدم ذكرها؛ بناءً على عدم ذِكْر سيبويه لبعضها، ومن ذلك عدم ذكر بعض العلماء مصطلح (اللهاة)، مع أنه واردٌ عند الخليل في مقدمة العين، وذلك في قوله: ((وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان، وبين اللهاة في أقصى الفم)) [٤] ، ولا يمكن تفسير هذا التجاهل لذلك

---

(١) التمهيد في معرفة التجويد (٢٤٨)

(٢) ينظر: الموضح في التجويد (٧٨)

(٣) ينظر: الأصول في النحو (٤٠٠/٣)

(٤) العين (٥٢/١)، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة، ١٤٠٨ه–١٩٨٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصطلح إلا بتبعيتهم لسيبويه في عدم ذكرها، يقول د. الصيغ: ((وقد تبع المبرد وابن جني سيبويه، فلم يذكروا اللهاة، وكذلك لم يرد لها ذكرٌ عند مكي والداني والقرطبي)) (١)

ثالثا- مصطلحات خاصة بالأصوات الفروع:

بعد أن ذكر سيبويه الأصوات التسعة والعشرين الأصول وصف بعضَ الأصوات بالمستحسنة في قوله: ((وتكون خمسةً وثلاثين حرفًا بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يُؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة، والزكاة، والحياة.)) (٢)

وذكر أصواتا وصفها بأنها غير مستحسنة، في قوله: ((وتكون اثنين وأربعين حرفًا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة مَن تُرتضَى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء.)) (٣)

وقد وردت هذه المصطلحات أو أحدها عند كلٍّ من:

---

(١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص ٣٠.
(٢) الكتاب (٤/٤٣٢)
(٣) ورد مصطلحا النون الخفيفة والضاد الضعيفة في الكتاب (٤/٤٣٢)

المبرد، والزجاجي، وابن جني، والقرطبي، وابن سنان الخفاجي، وابن الباذش، والزمخشري، وابن الأنباري، وابن يعيش، وابن عصفور، والسيوطي، وابن غياث.(١)

ويبدو أن أولية هذا التقسيم في التراث اللغوي العربي وأثره الكبير في بيان الأصوات الأصول والفروع، فيما يمكن أن يكون سبقا ومقابلا لنظرية (الفونيم) في الدراسات الحديثة، لعل ذلك كله كان له أثر كبير في تناقل هذا التقسيم وما يشتمل عليه من مصطلحات، فلم يخالفه غيره في تسمياتها إلا قليلا، حتى أن بعض هذه المخالفات تفوق فيها سيبويه، على نحو ما نجد عند المبرد في مصطلح (الألف الممالة) (٢) الذي عبَّر عنه سيبويه بـ (الألف التي تمال إمالة شديدة) وعدم اعتبار المبرد لقيد (تمال إمالة شديدة) قد يكون مرده أحد أمريْن:

الأول: أنه لا يرى فرقًا بين الممالة إمالة شديدة والممالة إمالة غير شديدة؛ وبذلك يكون قد خالف سيبويه في دلالة المصطلح على الألف الممالة مطلقًا.

الثاني: أنه يوافق سيبويه في الدلالة نفسها، لكنه لم يضف هذا القيد، واستخدم طريقة الإطلاق، وهو تجوُّز في صياغة المصطلح.

---

(١) ينظر على الترتيب السابق: المقتضب ٣٣٠/١، الجمل ٤٠٩، سر صناعة الإعراب ٤٦/١، الموضح في التجويد ٧٩، ٨١، ٨٤، ٨٦، ٧٩، سر الفصاحة ٢٢، الإقناع ١٧٩، المفصل في علم العربية ٣٩٤، أسرار العربية ٤١٩، شرح المفصل ١٢٦/١٠، ١٢٧، الممتع ٤٢٢، ٤٢٣، همع الهوامع ٢٩٦/٦، المناهل الصافية ٣٣٦/٢، ٣٣٧.

(٢) تابعه في هذا المصطلح: الزجاجي في شرح الجمل (٣٧٦)، ومكي في الرعاية (١٨)، وابن يعيش في شرح المفصل (١٢٦/١)، والقرطبي في الموضح (٨٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي كلا الأمرين أرى أنَّ سيبويه كان أكثر دقة في مصطلحه من المبرد؛ لأنه يفرّق بين ثلاث ألِفاتٍ: الأولى الألف غير الممالة وهي صوت أصليٌّ، ومثله الألف الممالة إمالة غير شديدة، يقول أحد شراح الكتاب: ((وقوله (والألف التي تمال إمالة شديدة) استظهر على الألف التي تمال بين اللفظين بأنَّ ذلك كأنها لم تتخلص لشيء، فهي باقية على أصلها... وسيبويه إنما ذكر الألف الممالة إمالة شديدة؛ لأنها أظهر للحس؛ فيظهر الفرقُ بينها وبين الألف غير الممالة، ونبَّه بذلك على ألف أخرى ممالة إمالة غير شديدة، وهي أخرى غير الألف التي هي غير ممالة.)) [(١)]

وكما هو واضح فإن أكثر المتأثرين بهذه المصطلحات الخاصة بالأصوات الفروع هم النحويون وبعض من علماء التجويد والقراءات.

رابعاً- مصطلحات فنولوجية:

ورد في (الكتاب) من هذا النوع من المصطلحات – التي تُعنى بتأثير الأصوات ببعضها البعض داخل السياق– كل من: الإدغام، والإخفاء، والإظهار، الإقلاب، والتحويل (= الإبدال)، الاعتلال.

يقول سيبويه في الإظهار: ((وكذلك الإظهار كلما تباعدت المخارج ازداد حسنا.))[(٢)] وفي الإخفاء: ((وإنما أخفيت النون في حروف الفم كما أدغمت اللام وأخواتها.)) [(٣)] وفي الإقلاب: ((تقلب النون مع الباء ميمًا))[(٤)] والاعتلال

(١) شرح كتاب سيبويه (٨٥٣/٣) صالح بن محمد، تح: خالد بن محمد التويجري، رسالة دكتوراة باللغة العربية– جامعة أم القرى١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.
(٢) الكتاب (٤٤٦/٤)
(٣) السابق (٤٥٤/٤)
(٤) السابق (٤٥٣/٤)

ورد في مواضع منها قوله: ((..اعلم أن كل اسم منها كان على ما ذكرت لك، إن كان يكون مثاله وبناؤه فعلا فهو بمنزلة فعله، يعتل كاعتلاله..)) [١]

ومن المعروف أن (الإدغام) و(التحويل) من المصطلحات الواردة عند الخليل[٢]، أما المصطلحات الأخرى فينسبها العلماءُ إلى سيبويه؛ لعدم ذكرها عند سابقيه خصوصًا الخليل. وقد وردت هذه المصطلحات أو أحدها عند[٣]:

المبرد، وابن السراج، وابن مجاهد، والسيرافي، وابن جني، وابن غلبون (٣٩٩ه) في التذكرة، ومكي بن أبي طالب، وأبي عمرو الداني، والقرطبي، وابن الباذش، والزمخشري، وابن عصفور، وابن عقيل، وابن القاصح، وابن الجزري، وابن غياث، والمرعشي، والبنا الدمياطي(١١١٧ه)،

---

(١) الكتاب (٣٥٨/٤)

(٢) ينظر: العين (٤٩/١) و(٧٦/٤، ٢٤٣)

(٣) ينظر على الترتيب: المقتضب ٣٣٧/١، ٣٤٣، الأصول ٣/ ٤١٧، السبعة ١٢٥، ١٢٦، ٤٠٦، ما ذكره الكوفيون ٦٦، والخصائص ٣٦٥/١، والتذكرة (١٣٦/١، ١٣٧)، أبو الحسن ابن غلبون، تح: د. سعيد صالح زعيمة، دار ابن خلدون- الإسكندرية، توزيع دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م والرعاية ٢٦٢، ٢٦٧، والتحديد ١١١، ١١٥، والموضح في التجويد ١٥٧، والإقناع ٢٥٣، ٢٥٨، والمفصل في علم العربية٤٠٠، والممتع ٦٩٨، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢٧٥/٤، وسراج القارئ المبتدئ ١٠١، والتمهيد ٥٥، ١٥٨، والمناهل الصافية ٣٦١/٢، وجهد المقل ١٤٠، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ١٤٣/١ تح: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب- بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط أولى، ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م ونهاية القول المفيد ١٢٣، وغاية المريد في علم التجويد ٥٢، ٦٤، دار التقوى، ثانية، ١٤١٢ه وعن علم التجويد القرآني ٢٢٢، ٢٣٠، ومقدمة في أصوات اللغة العربية ٢١٢، ٢٢١، وفتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد ١٨، ٢٧، مكتبة الإيمان- مكتبة الجامعة الأزهرية، أولى، ١٤٣٢ه – ٢٠١١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومكي نصر، وعطية قابل نصر، ود. عبد العزيز علام، ، ود.عبد الفتاح البركاوي، ومحمود بسة.

ومن الواضح أن علماء التجويد والأصوات كانوا أكثر حفاوةً بهذه المصطلحات وأكثر استعمالًا لها، فقد كانت ((جهود علماء العربية من النحويين واللغويين [وفي صدارتهم سيبويه] وجهود علماء القراءة تقوم بالمهمة التي قام بها علماء التجويد بعد ظهوره، في تعليم الناطقين بالعربية أصول النطق الصحيح، وتحذيرهم من الانحراف في نطق الأصوات العربية.)) [١] وما زالت مصطلحات سيبويه في هذا الشأن تتردد بين جنبات كتب التجويد والقراءات بالإضافة إلى كتب النحو والصرف واللغة، وهو ما يتضح من قائمة الكتب المذكورة قبل أسطر.

خامساً: مصطلحات خاصة بأداء الحركات

من مصطلحات الأداء ما هو خاص بالصوائت، كالروم والإشمام، الاختلاس، والإشباع، ووردوها في (الكتاب) كان على النحو التالي:

- ورد الروم والإشمام في قوله: ((فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك..)) [٢]

وقد كان الفضل في التفريق بين هذين المفهومين لسيبويه، ذلك ((أنَّ القرَّاء من قَبْلِ سيبويه، والكوفيّين مِن بَعْده إلى عصر محمد بن كيسان كانوا يُعَبِّرون عن الرَّوم والإشمام بلفظٍ واحد، وأنَّ التفريق بينهما أتى على يد

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (٢٠) بتصرف يسير.
(٢) الكتاب (١٦٨/٤)

سيبويه الذي وضع لفظَ: (الرَّوم) للتعبير عن ضَعفِ الصوت بالحركة، وأبقى لفظ: (الإشمام) للتعبير عن الإشارة بالشفتين إلى الضمة من غير صوتٍ يُسمَع، حتى أستاذه الخليل كان يَستَعمل مصطلح الإشمام. وقد بيَّن الدانيُّ أنَّ الكوفيِّين المتأخرين – بعد سيبويه– ومعهم ابن كيسان إنَّما ينقُدون وضْعَ سيبويه مصطلح الرَّوم للكيفية المسموعة، والإشمامَ للكيفيَّة المنظورة، ويرَوْنَ أنَّ العكسَ كان أَوْلى)) (١).

– وورد الإشباع والاختلاس في قوله: ((فأما الذين يشبعون فيمططون.. وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا..)) (٢)

وقد تعددت معاني الإشباع، لكن سيبويه حدده في قوله السابق بأنه توليد حرف المد من خلال تطويل الحركة و((هذا المعنى لمصطلح: (الإشباع) هو أشهرُ معنىً من بين المعاني الأخرى التي استعملها العلماء.)) (٣).

وإذا كان الاختلاس– أيضًا– يعني خفوت الحركة، فقد استقر هذا المصطلح ((في كتب التجويد بهذا المعنى، وهو المعنى نفسه الذي ذكره سيبويه له.)) (٤)

وقد وردتْ هذه المصطلحات أو أحدها عند:

ابن جني، وابن غلبون، ومكي بن أبي طالب، والمهدوي، وأبي عمرو الداني، والقرطبي، وأبي شامة، ورضي الدين الاستراباذي، وابن

(١) المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي (٧٧، ٧٨)، وينظر: جامع البيان (٩٥٠/٣)
(٢) الكتاب (٢٠٢/٤)
(٣) المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي (٦٢٧)
(٤) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (٢٣٤)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

القاصح، وابن الجزري، والمرعشي، والبنا الدمياطي، وعطية قابل نصر، ود. عبد العزيز علام. (١)

تعقيب على المطلب:

لئن أطلتُ في الإحالات السابقة من حيث ذكر المؤلفات الحاوية لمصطلحات سيبويه، فهي إطالة تخدم ما أردت الوصول إليه من بيان حدود مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في الدرس اللغوي العربي والثقافة العربية بوجه عام وتتضح لنا من خلالها مظاهر هذه المركزية وآثارها وما تمتاز به هذه المركزية من حيث ما يلي:

١.الامتداد المعرفي، وجدنا هيمنة المصطلحات الصوتية السيبويهية، وترددها بين جنبات مؤلَّفات علومٍ متعددةٍ، تسربتْ تلك المصطلحاتُ داخلَ الجهاز الاصطلاحي لكل منها، وبإمكاننا بيان ذلك التنوع من خلال تصنيف المؤلَّفات السابقة بحسب انتماءاتها المعرفية إلى العلوم التالية: علم التجويد، وعلم النحو، والمعاجم، وكتب اللغة، والبلاغة، والقراءات (روايةً ودرايةً).

---

(١) ينظر على الترتيب: الخصائص ٣٢٨/٢، الرعاية ٢٦٠، والتبصرة في القراءات السبع ١٠٦، مراجعة: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، دون تاريخ والتذكرة٧٠/١، ٧١، وشرح الهداية ٧٠/١، والتحديد ٩٥، ٩٧، التيسير في القراءات السبع ٥٤، عني بتصحيحه: أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، والموضح في التجويد ٢٠٨، ٢٠٩، وإبراز المعاني٢٦٨، وشرح الشافية ٢٧٥/٢، وسراج القارئ المبتدئ ١٢٥، والتمهيد ٥٣، والنشر ١٢١/٢، وجهد المقل ٢٧٧، ٢٧٨، وإتحاف فضلاء البشر ٣١٣/١، وغاية المريد ١٦٩، نهاية القول المفيد ٢٢٣، ٢٢٥، وعن علم التجويد القرآني ٣٨٥، ٣٨٧.

ويصحب ذلك الاختلاف اختلافٌ في توجهات مؤلفي هذه الكتب وثقافاتهم، ومنطلقاتهم في توظيف الحقائق الصوتية- وفي القلب منها جانب المصطلحات- ما بين علماء للتجويد، ونحويين ولغويين ومعجميين وبلاغيين وقراء وموجهي قراءات، وفلاسفة وأطباء (كالكندي وابن سينا). ولعل مثل هذا هو ما دعا د. حسام سعيد النعيمي إلى القول: ((نستطيع أن نقول باطمئنان أنَّ كل ما كتب في مخارج الحروف العربية وصفاتها وتعاملها بعد كتاب سيبويه عليه عيالٌ)) [(١)] وصَدَق الرَّجلُ.

٢. الامتداد الزماني، تُظهر سنواتُ وفيات مؤلفي هذه المصنَّفات السابقة مدى الامتداد الزماني لتأثير هذه المصطلحات وبقائها واستمراريتها طيلة هذه الفترة الزمانية المديدة. وتُظهر القوائم السابقة تمثيلًا واضحًا لمعظم قرون التاريخ الهجري، بدءًا من القرن الثالث، ويمثله صدارةً (المقتضب) الذي سار فيه المبرد على درب سيبويه - بدءًا من تخصيصه بابًا للإدغام، يمهد له بدراسة لمخارج الأصوات وصفاتها، يحوي كثيرًا من المصطلحات التي تأثر فيها بسيبويه- مرورًا بالقرن الثالث فالرابع.. إلخ، انتهاءً بالعصر الحديث.

وإذا كان أمر ذلك الامتداد غير مستغرب أو متعجب منه في القرون التالية للإمام سيبويه فإن امتداد هذه المصطلحات وبقاءها في العصور المتأخرة - أو ما يعرف بالعصر الحديث- (سواء منها ما ألفه المستشرقون أو العرب المحدثون ممن تعلم على يد هؤلاء المستشرقين) لهو مثارٌ للتعجب، ودليل قوي على مركزية المصطلحيَّة السيبويهيَّة؛ فبقاء هذه المصطلحات واستمرارها في عصر أدى فيه التقدم التكنولوجي إلى تغيير

(١) أصوات العربية بين التحول والثبات (٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كثيرٍ من المفاهيم والمصطلحات القديمة في العلوم جميعها لا في علم الأصوات فحسب، لهو حقيقٌ بالدراسة عن أسباب تلك المركزية وهذه الهيمنة.

ولعل قول كانتينو عن شريحةٍ واحدةٍ من شرائح المصطلحات عند علماء العربية – بوجه عام– كافية في هذا الموضع استشهادًا، حيث يقول متحدثًا عن أعضاء الجهاز النطقي: ((وقد كان العرب يعرفون أكثر هذه الأعضاء، ويطلقون عليها أسماءَ ذات دقةٍ كافيةٍ.)) [١] وجاء سيبويه ليكمل هذه المنظومة بمصطلحات الدقيقة أيضًا.

وثبت من خلال السطور السابقة أن الأمر لا يتعلق بمصطلحات أعضاء النطق فقط وإنما انسحب هذا الحكم على غيرها من المصطلحات التي تناقلها علماء الأمة من بعد سيبويه فيما يشبه الإجماع، وما ذلك إلا لدقتها مع تعاملهم بحذر من خلال عدم اللجوء إلى زعزعة بعض هذه المصطلحات إن أصابها نوع من التجاوز والقصور المفهومي.

٣.الامتداد المكاني، من خلال تصنيف البيئات التي ينتمي إليها صاحبو المؤلَّفات السابقة، نجد أنَّها موزَّعة بين بيئاتٍ متعددةٍ، ما بين المشرق العربي– بعلمائه من أمثال: المبرد، الزجاجي، ابن جني، المرعشي – في جانب، والمغرب العربي والأندلس – بعلمائه من أمثال: المهدوي، والداني، وعبد الوهاب القرطبي، وابن عصفور – في جانب آخر.

ويزيد من عمق مركزية مصطلحات سيبويه في هاتين البيئتين – خصوصًا المغرب والأندلس– ما كان معروفًا من تنافس علمي بينهما

(١) دروس في علم أصوات العربية (١٨)

تجاوزته تلك المركزية، ولم تتأثر به. يقول د. يوسف عيد: ((ولا يفوتنا أن نشير هنا، إلى مدى ما حظي به كتاب سيبويه في الأندلس من اهتمام ودراسة. ولم يكن معتمد الدارسين وحسب، بل كان محورًا لغير مؤلف في كل العصور)) (١)

٤. الامتداد الحضاري، لم تتوقف مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية – التي هي مثار حديثنا – عند التأثير في الحضارة العربية، على تنوع اتجاهاتها ومجالاتها المعرفية، وإنما تعدتْ هذه المركزيةُ إلى التأثير في بعض المستشرقين كما يظهر من خلال بعض مؤلفاتهم الصوتية، ومن ثم كانت مصطلحات سيبويه خير مكافئ عند ترجمة هذه المؤلفات إلى العربية، ففي القائمة السابقة وجودٌ للمصطلح السيبويهي عند بروكلمان وكانتينو، وقد ورد في صدر كتاب الأخير ما نصه: ((فنحن نجد في كتاب سيبويه ترتيبًا صحيحًا للحروف حسب مخارجها، وملاحظات هامة حول صفات الحروف، وبحثًا غزير المادة في إدغام الحروف، ومعلومات صحيحة تتعلق بمدى الحركات وباعتلال جروسها..)) (٢)

٥.تجاوز الاختلافات بين المدارس:

نلاحظ – أيضًا– مظاهر لمركزية مصطلحات سيبويه الصوتية من خلال اختلاف مدارس أصحاب تلك المصنَّفات ومذاهبهم، ما بين نقل النحاة البصريين – كالمبرد وابن السراج– تلك المصطلحات – وهو أمر طبعي لا عجب فيه، وهو رأس من رؤوس مدرستهم– وتأثر النحاة الكوفيين ببعض

(١) النشاط المعجمي في الأندلس (٤٠)، د. يوسف عيد، دار الجيل– بيروت، ط أولى، ١٤١٢، ١٩٩٢م

(٢) دروس في علم أصوات العربية (١٨)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تلك المصطلحات، كاستعمال الفراء مصطلحي: (الإطباق، والإخفاء)، وثعلب في استعماله مصطلحي: (الغنة والصفير)، فيما أورده عنهما السيرافي في كتابه: (ما ذكره الكوفيون من الإدغام) [١] ولم يقف هذا النقل، وذلك التأثر عند حدِّ المصطلحات الصوتية فحسب، بل يتعداها إلى كثير من المصطلحات الواردة في الكتاب، يقول د. على توفيق الحمد: ((وقد حاولت عرض مصطلحات الفراء على مصطلحات سيبويه فوجدت بضع مئات منها توافق ما جاء في كتاب سيبويه.)) [٢]

ويؤكد هذا التأثر الأخبار التي تواردتْ مؤكدة ما للكتاب من أثرٍ كبيرٍ في نفوس بعض الكوفيين، ومطالعتهم إياه، من ذلك ما أخبر به ((أبو نصر الباهلي، قال: حمل الكسائي إلى أبي الحسن الأخفش خمسين دينارًا، وقرأ عليه كتاب سيبويه سرًّا.)) [٣]

وكذلك ما أخبر به ((ثعلب عن سلمة، قال: مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه.)) [٤] كما تدل بعض الأخبار على أن الفراء كان يتعمد مخالفة سيبويه ((حتى في ألقاب الإعراب وتسمية الحروف.)) [٥]

وفي العصر الحديث يمكن ملاحظة اختلاف المدارس التي ينتمي إليها بعض العلماء ممن أحلنا على مؤلفاتهم، ففي مصر – على سبيل المثال– مدرسة دار العلوم ممثلة في علمائها: إبراهيم أنيس، وكمال بشر، وأحمد مختار عمر، والمدرسة الأزهرية، ممثلة في: عبد العزيز علام، عبد الفتاح

---

(١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام، (٦٥، ٦٧)
(٢) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد(١١١)
(٣) مراتب النحويين (٨٩)
(٤) السابق (١٠٥)
(٥) السابق (١٠٦)

البركاوي ، رغم ما تحمله كلا المدرستين من توجهٍ مختلفٍ عن الأخرى، تغلب عليه التراثية في الأخيرة، بينما تنفتح الأولى – في كثير من أعمالها– على الدراسات الغربية الحديثة.

٦.دقة مصطلحات سيبويه الصوتية:

لم تؤثِّر مصطلحاتٌ في اللاحقين مثلما أثرت مصطلحات سيبويه، خصوصًا الصوتية منها، حتى مصطلحات مؤسس علم الأصوات في العربية الخليل بن أحمد، فقد استعمل العلماء من بعد سيبويه كثيرًا من مصطلحاته مع أن لها مقابلا عند الخليل، ومن ذلك مصطلحات: الأسلية (مقابل الصفير عند سيبويه ومن تابعه)، المختفض (مقابل المستفل عند سيبويه).

ويعلل بعضهم ذلك بعدم دقة مصطلح الأسلية– على سبيل المثال– فهو مصطلح ((أطلقه الخليل على السين والصاد والزاي. في حين تؤكد التجربة النطقية أن أسلة اللسان لها مشاركة في إخراج عدد آخر من الأصوات غير هذه الثلاثة، ومثل هذا أيضا اصطلاح اللثوية الذي لا صلة له بمخرج الظاء والذال والثاء، فهي كما ذكر سيبويه من طرف اللسان وأطراف الثنايا.)) [١]

٧.شمولية مصطلحات سيبويه الصوتية:

بالنظر إلى حدود مصطلحات سيبويه الصوتية فنجد بأنها تمثل قطاعًا عريضًا من قطاعات علم الأصوات حتى من منظور المحدثين، حيث مثَّلتْ هذه المصطلحاتُ فرعيْ علم الأصوات: الفوناتيك (علم الأصوات العام)، والفنولوجيا (علم وظائف الأصوات)، على نحو ما أوردتُ من نماذج ممثلة لهذين الفرعين.

---

(١) أثر مصطلحات الخليل الصوتية (٢٧) وينظر: الكتاب (٤/٤٣٣)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الرابع:

مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية

(أسبابها، وعوامل بقائها)

بعد حديثنا عن مظاهر مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية وآثارها في مؤلفات الخالفين من بعده، آن لنا أن نقف مع أهم أسباب تشكُّل هذه المركزية في الثقافة العربية قديمها وحديثها، واستجلاء عوامل بقائها واستمراريتها، ويمكن بيان بعض هذه الأسباب وتلك العوامل فيما يلي:

أولًا- لا يمكن فصل مركزية مصطلحات سيبويه عن مركزية سيبويه نفسه في الثقافة العربية، وما يمثله نتاجه العلمي من مرجعية مهمة من مرجعياته، ولأجل هذا السبب – على سبيل المثال- يُرجع د. عبد العزيز الصيغ عدم ذيوع مصطلح المقطع (= المخرج) قائلا: ((.. وعلى ذلك نقول إن المقطع كان مصطلحًا وضع ليؤدي معنى المخرج، إلا أنه لم يستطع أن يكتسب الشيوع، على الرغم من أنه كان أقرب من معناه إلى المراد، ولم يتيسر له عالمٌ كبيرٌ له تأثيرٌ نفسيٌّ عظيمٌ مثل: الخليل أو سيبويه، وهو ما حدث لمصطلح المخرج.)) [(١)] ومثل هذا قد يقال في مصطلح الأخرس (= الشديد) الذي وضعه الفراء. [(٢)] وغيرها من المصطلحات التي لم يكتب لها الشيوع، لا لسبب ذاتي فيها بقدر ما لمصطلحات سيبويه من ريادة ولما لصاحبها من تأثير نفسي على المتلقين.

---

(١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (٥٣)

(٢) ينظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام (٥٩)

ويتضح التأثير النفسي لعالم بقدر سيبويه من خلال وصف علي النجدي له بقوله: ((سيبويه كلمة ذات إشعاع، لا تدل على معناها الأصيل وحده، ولكن تضيف إليه معاني أخرى ملازمة، من الاختصاص بالعربية، والهداية فيها، والغيرة عليها، والغضب لها، إذا نالها سوء أو تهددها شرٌّ، كأنه وحده صاحب أمرها أو المسئول عنها.)) (١)

ذلك التأثير النفسي هو ما يجعل العلماء من بعده يتحرجون عن مخالفته، على حد قول السهيلي (٥٨١ه) : ((ولولا الوَحْشَة من مخالَفة الإمام أبي بِشْر لَنَصَرْتُ قولَ الأخفَش نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وجَلَوْتُ مذهبَه في مِنَصَّة التحقيق مُفَسِّرًا، ولكنَّ النفسَ إلى نُصرَةِ سيبويه أميَلُ، والله المُوَفِّق للصَّواب، وإليه المآب.)) (٢).

صحيح أن للخليل نفس هذا التأثير النفسي والريادة التاريخية إلا أن ((عددًا من الخصائص النوعية تَوَافَر لجهود سيبويه الصوتية لم يتوافر لجهود الخليل التي جاءت إسهاماته الصوتية موجزةً، وناقصةً، وغامضةً، وغير مستوعبة لمباحث علم الأصوات النطقي، الذي استوعب منجز سيبويه عندما تعرض لأصوات العربية.)) (٣)

---

(١) سيبويه إمام النحاة (٧٩)

(٢) نتائج الفكر في النحو (١٨٥) للسهيلي، تح. عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤١٢ه- ١٩٩٢م.

(٣) سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية، د. خالد فهمي، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد ١٢ ربيع ثاني ١٤٣٥ه- ٢٠١٤م، ص ٢٩١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانيًا: يجب ألا نفصل مركزية هذه المصطلحات في الدرس اللغوي العربي عن سياقها العام، المتمثل في مركزية آراء سيبويه ومعالجاته الصوتية وسطوتها على الدراسات العربية في القديم والحديث، فمما قررته الدراسات الحديثة ((سطوة آراء سيبويه في الصوتيات العربية على من جاء بعده إذن قوة قاهرة لم يستطع أحد من الصوتيين العرب أن يفر من سلطتها وهيمنتها، لاعتبارات معرفية في المقام الأول"[١]

وهذا ما تشهد به دراسات المحدثين مقدرين ما للرجلين من ريادةٍ وفضلٍ، يقول د. أحمد مختار عمر: ((إذا تصفحنا الكتب العربية التي عرضت للأصوات وصفاتها وأسمائها، وجدنا أصحابها مقلدين لا مجددين وتابعين لا متبوعين. فهم لم يزيدوا على ما وضعه الخليل وسيبويه إلا قليلا. بل إنك لتجد العبارة هي العبارة، وحتى الغموض هو الغموض. وتتبع تعريف (المجهور) بعد سيبويه تجده هو تعريف سيبويه برغم ما فيه من إبهام وتعقيد.. والتعريف بحروفه في سر صناعة الإعراب لابن جني، وكذا في شرح مفصل الزمخشري.)) [٢]

ثالثًا- دقة آراء سيبويه الصوتية وسبقها:

إن دراية واضع المصطلحات درايةً دقيقةً بالمفهوم يُخرج لنا لاشك مصطلحًا دقيقًا صالحًا للشيوع والاستمرارية، وقد صرح غيرُ واحدٍ من العلماء المحدثين بسبق سيبويه إلى كثير من الحقائق الصوتية- التي يتوازى معها دقة المصطلحات المعبر بها عن هذه المفاهيم- وتأييد

(١) سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية (٢٦٢)
(٢) البحث اللغوي عند العرب (١١٩) مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط سادسة، ١٩٨٨م.

الدراسات الحديثة لهذا السبق، ومن ذلك ما ذكره د. إبراهيم أنيس، تعليقًا على نصٍّ لسيبويه ذكره السيرافي رواية عن أبي الحسن الأخفش بدأت بقوله: ((قال سيبويه: إنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر..)) [١] إلخ، يقول أنيس تعليقًا على هذه الرواية: ((نعتقد أنها صحيحة في جملتها، وأنها تتضمن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة إلى حد كبير.)) [٢]

وفي ذلك المعنى يقول د. الصيغ: إن ((المقارنة بين معطيات الدرس الصوتي عند سيبويه بشكل عام والدرس الصوتي الحديث إذا ما جعلنا أمامنا المسافة الزمنية بينهما ترجح أن سيبويه كان قد توصل إلى حقائق صوتية سبق بها عصره، بل إن بعضا منها حتى بمقياس المحدثين تعد سبقا، وحديثه عن الأصوات المشربة والنفخية وحديثه أيضا في تخفيف الهمز أن الهمزة تحذف ويمد بالحركة التي قبلها هو بحديث المحدثين أشبه وهو سابق لهم.)) [٣]

رابعًا- لعل الاحتكام إلى بعض مبادئ علم المصطلح الحديث يكشف لنا سرًّا آخر من أسرار مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية، وتأثيرها في الدراسات العربية، وعاملا مهما من عوامل بقائها واستمراريتها، ليس لكون

---

(١) شرح كتاب سيبويه (٣٩٦/٥) لأبي سعيد السيرافي، تح. أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

(٢) الأصوات اللغوية(١٢٢)

(٣) الأصوات عند سيبويه في ضوء علم الأصوات الحديث (٦٧١)، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر- دمشق، ط أولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هذه المبادئ ميزانًا نحكم به على تلك المصطلحات- فليس من الممكن محاسبةُ السابق على عدم معرفته بما توصل إليه اللاحقُ، بما أتيح له من وسائل ومناهج لم تكن معروفة من قبل- ولكن يمكن بيان عظمة نتاج هذا السابق، وسبقه في التوصل إلى بعض المبادئ التي صارت نظريةً أو منهجًا علميًّا أفرزته الجهود المضنية بعد عصور كثيرة.

ومدخلي إلى الاحتكام لبعض مبادئ علم المصطلح الحديث في الحكم على مصطلحات سيبويه الصوتية، وبيان موافقتها للمواصفات الجيدة للمصطلح العلمي من عدمها، ما ذهب إليه د. علي توفيق الحمد، وهو يتحدث عن بعض المصطلحات النحوية التي شاعت بين الدارسين وتلقاها اللاحقون بالقبول والاستخدام، حيث يقول: ((ولعل السر في تقبلها وشيوعها وسيرورتها على ألسنة المتخصصين حتى الآن، أنها توافرت فيها الشروط الفنية للمصطلح العلمي الناضج الدقيق.)) [١]

فهل توافرت تلك الشروط في المصطلحات الصوتية أيضًا؟

بعد أن فحصتُ بعض المبادئ المصطلحية، وطبقتُ الشروط الفنية للمصطلح العلمي الدقيق على بعض المصطلحات الصوتية الواردة في الكتاب، خصوصًا بابَ الإدغام، تبينتْ لي إجابةُ السؤال السابق، والتي سأوضحها من خلال بيان المبادئ المصطلحية التالية:

(أ) منظومات المفاهيم:

من المبادئ المصطلحية المقررة أن وضوح مفهوم المصطلح يعتمد على وجوده ضمن منظومة من المفاهيم، تُكوِّن فيما بينها نَسَقًا مفاهيميًّا،

(١) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد (٩١)

ذلك النسق الذي يتألف ((من عدد من المفاهيم المفردة التي يرتبط بعضها ببعض بعلاقات منطقية أو وجودية. وفي مثل هذه المنظومة المفهومية يسهل الوقوف على علاقات كل مفهوم من المفاهيم الأخرى التي تتألف منها تلك المنظومة.)) [١]

ونلاحظ أن سيبويه في باب الإدغام – على وجه الخصوص – عَمِل على جَمْع منظوماتٍ مفاهيميةٍ صغيرةٍ، يربط بين كل منها قاسمٌ مشتركٌ، ويتضح ذلك من خلال منظومات المفاهيم المترابطة التالي بيانها:

١. منظومة الأصوات الأصلية والفرعية:

قسَّم سيبويه الأصوات العربية إلى مجموعتين تشكل كل منهما منظومة من المفاهيم:

الأولى: مجموعة الأصوات الأصلية (التسعة والعشرون)، وهي مجموعة مفاهيمية يشترك أفرادها في أصالتها.

الثانية: مجموعة الأصوات الفرعية، وهي مجموعة مفاهيميَّة يشترك أفرادها في كونها أصواتًا متفرعةً عن أصوات المجموعة الأولى. ويندرج تحت هذه المجموعة مجموعتان فرعيتان:

أولاهما: تشكل مجموعة الأصوات المستحسنة، وتضم ستًّا من المفاهيم، التي يربط بينها جميعًا دخولها تحت ضابط معيَّن يتمثل في أنها ((كثيرة، يؤخذ بها، وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار..)) [٢]

---

(١) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (٣٣٣)، د. علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، أولى ٢٠٠٨م

(٢) الكتاب (٤/٤٣٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانيهما: تؤلفها مجموعة من الأصوات غير المستحسنة، وضابطها أنها ((غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر.)) [١] وتضم سبعةً من الأصوات – بحسب عدّ سيبويه لها– وهي في الحقيقة ثمانيةٌ. [٢]

٢. منظومة مخارج الأصوات:

رُتبتْ هذه المجموعةُ ترتيبًا داخليًّا، بدءًا من الحلق وانتهاءً بالشفتين فالخياشيم، إضافةً إلى ترتيب مكونات المخرج الواحد إن كان ذا أقسام، كالحلق واللسان، من الأقصى إلى الأدنى.

٣. منظومة صفات الأصوات:

تضم هذه المنظومة مجموعات من المفاهيم، هي: مجموعة الأصوات المجهورة، مجموعة الأصوات المهموسة، مجموعة الأصوات الشديدة، مجموعة الأصوات الرخوة، مجموعة الأصوات المطبقة، مجموعة الأصوات المنفتحة..

ولاشك أن هذه الطريقة الترابطية بين مصطلحات ومفاهيم كل مجموعة من هذه المجموعات تعمل على سلامة المصطلح ووضوح مفهومه، من خلال: بيان علاقته بالمفهوم العام الذي يندرج تحته، وعلاقته بالمصطلحات والمفاهيم الموازية له والتي هي أجزاء من هذا المفهوم العام، وتمييزه عما عداه من هذه المصطلحات المتشابهة معه. وبطريقة عكسية يمكننا القول ((إن عزل المفهوم عن منظومته يؤدي إلى حدوث انقطاع بينه

(١) الكتاب (٤/٤٣٢).

(٢) فقد اعتبر سيبويه الجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين جيمًا واحدة.

وبين المصطلح الذي يعبر عنه، أي حدوث تباين بين لفظ المصطلح ومضمونه الحقيقي، فيصبح اللفظ قابلا لمضامين متعددة، كما يصبح المضمون قابلا لألفاظ متنوعة.)) [١]

(ب) تعريف المصطلحات:

يعد تعريف المصطلح من الأمور المعيْنة على تصوره وفهمه فهمًا دقيقًا من قبل المتلقي، بالإضافة إلى أنه ((بقدر ما تكون التصورات (المفاهيم) محددةً واضحةً في ذهن الإنسان [أي: صاحب المصطلح وواضع تعريفه] تكون تعريفاتها موفَّقةً ودقيقةً، ومن ثم تأتي مصطلحاتها دقيقةً وصائبةً)) [٢]

وقد كان سيبويه حريصًا على تعريف كثيرٍ من مصطلحاته الصوتية، فوجدنا تعريفًا للإدغام، والأصوات المجهورة، والمهموسة، والشديد، والمنحرف والتكرير والصوت الهاوي.. وغيرها.

ومما يذكره المحدثون له في هذا الشأن انضباطه ((في تعريف المصطلحات العلمية لعلم الأصوات في كثير جدًّا مما عرفه. صحيح أن بعضًا من تعريفاته جاء غامضًا، واستمر في غموضه على ما نرى مثلًا له في مصطلحي الجهر والهمس، لكن ذلك قليل إذا ما قيس بحجم إنجازه في بناء معجم لتعريفات المصطلح الصوتي))[٣]

ويكفي أن تلك التعريفات التي ارتضى كثيرٌ من الخالفين من بَعدِ سيبويه كثيرًا منها، وما يدعو للعجب أنهم تابعوه في تعريف وصفوه

(١) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (٣٣٤)
(٢) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد (٧٥)
(٣) سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية (٢٩٣)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الكثيرون بالغامض، إلا أن الكثيرين منهم لم يستطيعوا تجاوزه أو عدم الاعتماد عليه، وذلك تعريف الصوت المجهور بأنه ((حرفٌ أُشبع الاعتماد في موضعه، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت..))[١]

للدرجة التي يصف بها د. إبراهيم أنيس هذا التعريف وتعامل العلماء معه بقوله: ((هذا هو التعريف الذي وقف أمامه علماؤنا القدماء حائرين، قانعين بترديد ألفاظه بنصها دون شرح واضح أو تعليق ذي قيمة، لا يكادون يقربون منه حتى ينقلبوا عنه، كأنما قد تخيلوا في ألفاظه قدسية تحول دون أي تغيير فيها أو تبديل، ولو بكلمات مرادفة)) [٢]

ونلاحظ من خلال بعض تعريفاته وجود ما يمكن أن نسميه (التعريفات المتضادة)، فبعض تعريفاته لمصطلحات صوتية تتميز بالنظرة الثنائية للعلاقة بين مصطلح وآخر، يعمد من خلال هذه النظرة إلى وضع تعريفات متضادة، توازي التضاد الموجود بين المصطلحين، من خلال الاعتماد على استعمال الألفاظ المتضادة داخل التعريف.

ومن ذلك ما نجده في تعريف المهموس، باشتماله على عبارتيْ: (أضعف الاعتماد)، و(جرى النفس) في مقابل (أشبع الاعتماد)، و(منع النفس) في تعريف المجهور. وكذلك عبارة (أجريت الصوت) في تعريف الرخو، في مقابل (يمنع الصوت) في الشديد.

---

(١) الكتاب (٤/٤٣٤)

(٢) الأصوات اللغوية (١٢٣)

كما يمكن ملاحظة الاستغناء ببعض التعريفات عن بعضها الآخر، فقد اعتمد في كثير من تعريفات المصطلحات في باب الإدغام- على سبيل المثال- على تعريف الصوت (المجهورة، المهموسة، المنحرف، المكرر.. إلخ) لا الصفة، ويستغني بذلك عن تعريف الصفة نفسها، من مثل ما وجدنا عنده في تعريف المجهورة والمهموسة، استغناءً بذلك عن تعريف الجهر والهمس.

لكن ما ينبغي أن نذكره هنا أن سيبويه لم يضع لكل من المصطلحات الصوتية تعريفًا يوضح مفهومها، حيث لم نجد تعريفًا لمصطلحيْ التفشي والصفير – على سبيل المثال- وإنما أتى تعريفهما على يد مكي بن أبي طالب على نحو ما أوردتُ من قبل.

(ج) الوسائل البديلة للتعريف:

فقد يَعْتمِد في بيان مفهوم المصطلح على وسائل أخرى تعين على فهمه، كالشرح دون وضع تعريف أو حد له، ذلك أن ((الشرح شكل من أشكال إعادة الصياغة، مثله كمثل الحد في أنه يُدرِج المصطلح في الخطاب، ويقدمه، ويسمح بالتعرف عليه، وتمييزه من الألفاظ العامة.)) [(١)]

ومثال ذلك ما ورد في مصطلحيْ المطبق والمنفتح، بقوله: ((فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء. والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تُطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى. وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانَك في مواضعهن انطبق لسانُك من

(١) حركة المصطلح النحوي في كتاب سيبويه، سلام بزي حمزة، بحث منشور بمجلة المعجمية- تونس، العدد ٢٤، سنة ٢٠٠٨، ص ١١٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعتَ لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف)) [١]

ولا يخفي أنه اعتمد في شرحه هذين المصطلحين على ذكر الأصوات المندرجة تحتهما، وتوضيح الكيفية التي يكون عليها اللسان معهما، دون أن يضع حدًّا أو تعريفًا جامعًا لهما أو لأحدهما.

وإن كان المستشرق الألماني شاده (shadah) يَعتبر ما ورد في نص سيبويه السابق تعريفًا للمطبق، فيقول: ((هذا تعريف من الوضوح بحيث يستغني عن التفسير، وما أصوب قول سيبويه: إن هذه الأربعة لها موضعان من اللسان، فإن الناطق بالصاد مثلا لا يكتفي بوضع طرف لسانه على لثته كما يفعل في السين، ولكنه في نفس الوقت يقرب الجزء الأخير من لسانه إلى ما يحاذيه من الحنك.)) [٢] لكني لا أذهب مذهبه من أن هذا تعريفٌ بقدر ما هو شرح للمفهوم ليس إلا.

وقد يعتمد في الشرح على تحديد الكيفية النطقية خصوصا فيما يتعلق بمخارج الأصوات، بل إنه يستغني بهذا التحديد عن ذكر المصطلح الدال على المخرج، متجاوزًا تسمية الخليل إياها، على نحو ما نجد في حديثه عن المخارج الستة عشر، فهو يشرح كيفية نطق (الجيم والشين والياء) بقوله: ((ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.)) [٣] مستغنيا عن ذلك التحديد بذكر المصطلح الذي ارتضاه الخليل لثلاثتها وهو (الشجرية).

---

(١) الكتاب (٤/٤٣٦).

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا (٣٩، ٤٠).

(٣) الكتاب (٤/٤٣٣).

وقد علل أحد الباحثين سكوت سيبويه عن المصطلحات الدالة على المخارج مما ورد عند الخليل بأمرين: ((أولهما أن بعض هذه المصطلحات غير دقيق في دلالته على مضمونه، فمصطلح الأسلية مثلا أطلقه الخليل على (السين والصاد والزاي). في حين تؤكد التجربة النطقية أن أسلة اللسان لها مشاركة في إخراج عدد آخر من الأصوات غير هذه الثلاثة، ومثل هذا أيضا اصطلاح اللثوية الذي لا صلة له بمخرج (الظاء والذال والثاء)، فهي كما ذكر سيبويه من طرف اللسان وأطراف الثنايا. وثاني هذين الأمرين تفضيل سيبويه الوصف – عند تحديد المخرج- على المصطلح؛ إذ به يتمك من تعيين مخرج هذا الصوت أو ذاك بدقة فائقة.))[١] وهو ما قد لا يؤديه المصطلح خصوصًا أنه يصف مواضع وهيئات وحالات تختص بأعضاء وأصوات مما قد يكتنز معانيها مصطلح واحد. واطراد منهجه هذا في حديثه عن المخارج يدل على اختياره ذلك النهج اختيارًا لم يحد عنه.

ومما اعتمد سيبويه عليه في توضيح مفاهيم المصطلحات:

- التمثيل، فقد يُحتاج في سبيل إيضاح المصطلح في ذهن القارئ أن يُضرب له العديد من الأمثلة الدالة عليه.

ومن ذلك ما وجدناه عند سيبويه عند توضيحه مصطلح ألف التفخيم بقوله: ((وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة، والزكاة، والحياة.))[٢] أو قوله في بيان مصطلح (الرخوة): ((وذلك إذا قلت: الطَّسْ وانْقَضْ، وأشباه ذلك أجريتَ فيه الصوت إن شئت.))[٣] أو قوله:

(١) أثر مصطلحات الخليل الصوتية (٢٧).
(٢) الكتاب (٤/٤٣٢).
(٣) السابق (٤/٤٣٥).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

((ومنها اللينة، وهي الواو والياء؛ لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما، كقولك: وأيّ، وإن شئت أجريت الصوت ومددت.)) (١)

– التمييز بين المفاهيم المتشابهة بصفة فارقة يمثلها المصطلح المتحدث عنه، فبعد تناوله الإطباق بالحديث من حيث بيان الأصوات المتصفة به وبيان كيفيته، في قوله: ((فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء.. وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانَك في مواضعهن انطبق لسانُك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعتَ لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف)) (٢)

أقول بعد ذلك التناول وضع (الإطباق) صفةً فارقةً بين عدد من الأصوات هذا المفهوم وأصوات مشابهة لها إلا في هذه الصفة، وذلك في قوله: ((ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا، والصاد سينًا، والظاء ذالًا، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها.)) (٣)

فبعد بيان المصطلح وتوضيحه جاء الاعتماد عليه في التفريق بين عدد من الأصوات، ولعلك تعجب إذا علمتَ أن هذا الشعور ((بوظيفة هذه الصفات التمييزية وبالعلاقة التقابلية التي تربطها، أصبح اليوم من مشمولات علم الفونولوجيا أي: علم وظائف الأصوات.)) (٤)

---

(١) السابق (٤/٤٣٥)

(٢) الكتاب (٤/٤٣٦).

(٣) السابق (٤/٤٣٦).

(٤) النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، د. الطيب البكوش، بحث منشور بحوليات الجامعة التونسية، العدد١١ سنة ١٩٧٤، ص (١٤٧).

(د)- الإيجاز في بنية المصطلح:

يعد ((الإيجاز أحد شروط شيوع أي مصطلح)) [١] كما أنَّ من المبادئ الأساسية في وضع المصطلحات ((تفضيل الكلمة المفردة؛ لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع.)) [٢]

ومن ثم فإن كثيرًا من المصطلحات التي كُتب لها الذيوع والاستمرار عبر تاريخ العربية الطويل تتسم بالإيجاز، وهذا ما ينطبق بالفعل على كثيرٍ من المصطلحات الصوتية عند سيبويه، فلديه قائمة طويلة من المصطلحات البسيطة، وقد تنوعت هذه المصطلحات من حيث صيغتها الصرفية، ليشكل هذا التنوع – كما أرى- سببًا من أسباب تميزها ودقة دلالتها على المفاهيم المتعددة، فقد وجدنا منها:

- **الاسم، مثل: (الحنك).**
- **المصدر، مثل: (التفخيم، الإطباق، الاستطالة، الانحراف، الاعتماد، التكرير).**
- **اسم المفعول، مثل: (المجهورة، المهموسة، المطبقة، المكرر).**
- **اسم الفاعل، مثل: (المنفتحة، المنحرف، الهاوي).**
- **اسم المكان، مثل: (موضع، مخرج).**
- **جمع التكسير، مثل: (الخياشيم، الحروف، الأضراس).**
- **الفعل، مثل: (تنسل، تتصل، تتجافى).**

---

(١) قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد (٩٥)

(٢) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (٥٥٩).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ففي حين يعبر المصدر عن عملية إحداث الصوت كالتكرير، يأتي اسم المفعول (المكرر)؛ للدلالة على الأصوات الخاضعة لتلك العملية.

كما قد يكون المصطلح المصوغ في صورة المصدر موحيًا للخالفين لسيبويه لتوليد مصطلح آخر يدل على الحروف الخاضعة له، أو المندرجة تحته على نحو ما وجدنا من مصطلح (المستعينة)، يقول القرطبي: ((وأما المستعينة فالعين، يستعين المتكلم عند لفظه به بصوت الحاء، والميم والنون المتحركة يُستعان عليهما بصوت الخياشيم.)) (١)

فلعله وَضَعَ هذا المصطلحَ وبيَّن ما يندرج تحته من أصواتٍ أخْذًا مِن قول سيبويه عن الميم: ((لاستعانتها بصوت الخياشيم)) (٢)

ولا يتناقض مع هذا الإيجاز ما ورد من المصطلحات الصوتية عند سيبويه مركَّبًا، وهو ما يتبدى عندما ندرس هذه المصطلحات المركبة في باب الإدغام – على سبيل المثال– على النحو التالي:

١. من حيث درجة التركيب، وجدتُ مركباتٍ بسيطة أي أنها مُشكَّلةٌ من كلمتين، تربط بينهما علاقة من علاقات التركيب – التي سأوضحها بعد أسطر– ومثال ذلك مصطلحات: (الإمالة الشديدة، الضاد الضعيفة، أوسط الحلق، أقصى اللسان).

ومن الواضح بناء هذا التركيب على مصطلح محوري بسيط (نواة التركيب)، هو (الإمالة) في المصطلح الأول، و(الضاد) في الثاني، و(الحلق) في الثالث، و(اللسان) في الرابع.

---

(١) الموضح في التجويد (٩٧).
(٢) الكتاب (٤/٤٦١).

ولذا فإنه قد يتشكل من تلك النواة مصطلحات أخرى بطريقة أفقية، فاللسان – على سبيل المثال– أتى نواة أيضًا لمصطلحات أخرى، منها: (حروف اللسان، وسط اللسان، انحراف اللسان.. إلخ)

وكذلك وجدنا مقابل هذه المركبات البسيطة مركبات معقدة، من مثل: (وسط الحنك الأعلى، أول حافة اللسان، منتهى طرف اللسان، باطن الشفة السفلى).

ويبدو أن هذه المصطلحات مبنية بطريقة محكمة، حيث اعتُمد في صياغتها على الانتقال من المركب البسيط إلى المركب تركيبًا بسيطًا أو نظيره المعقد، هكذا:

- الحنك – الحنك الأعلى– وسط الحنك الأعلى.
- اللسان– حافة اللسان– أول حافة اللسان.
- اللسان– طرف اللسان– منتهى طرف اللسان.
- الشفة– الشفة السفلى– باطن الشفة السفلى.

وهو بذلك يعتمد على المصطلح البسيط كنواة للمصطلح المركب تركيبًا بسيطًا، والأخير نواة للمركب تركيبًا معقدًا، وهكذا بطريقة أفقية متنامية وقابلة للتمدد والزيادة في الرصيد المصطلحي.

لكن والحق يقال، لم يكن تعقيد هذه المصطلحات كمثله في المصطلحات النحوية في الكتاب، حيث إن بعضها أتى مركبًا بدرجاتٍ أشد تعقيدًا، بل وأكثر غموضًا، لذا استبدل النحاة المتأخرون معظم هذه المصطلحات واختزلوها في مصطلحات بسيطة أو أقل تعقيدًا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولنأخذ على سبيل المثال مصطلحيْه: (المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول) [١] أو (الفعل الذي يتعدى اسمَ الفاعل إلى اسم المفعول واسمُ الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد) [٢]، والأخير مُقابَلٌ عند المتأخرين بـ(كان وأخواتها).

٢.من حيث العلاقات التركيبية، نلاحظ أن العلاقة بين أجزاء المصطلح المركب، تتفاوت ما بين علاقة الإضافة في مثل: (أصول الثنايا)، أو الوصفية في مثل: (الجانب الأيمن)، والإسنادية في مثل: (الاعتراض على الصوت)، العطفية، في مثل: (بين الرخوة والشديدة).

ليستفرغ المصطلح الصوتي بذلك جميع درجات التركيب وكذلك علاقات التراكيب، لكنّ هذا الاستفراغ أتى بنسب متفاوتة بتفاوت طبيعة كل نوع منها وقابليته للمشاركة في التنمية المصطلحية.

وألاحظ أيضا أن بعض المصطلحات الصوتية المركبة عند سيبويه جاء التركيبُ فيها ضروريًا، من حيث إضافة قيد إلى المصطلح قد تشكل سمة فارقة بينه وبين غيره من المصطلحات التي تتشارك معه في نواة التركيب، وتعتبر تلك النواة المصطلح العام لهما.

ومثال ذلك: مصطلح (النون الخفيفة) في مقابل (النون المتحركة) والأخير يساوي مصطلح (النون) عند إطلاقه، فكلمة (الخفيفة) شكلتْ قيدًا داخل المصطلح، أفاد وجود نوع آخر من النون، له مخرج مختلفٌ وصفاتٌ مختلفةٌ عن (النون= النون المتحركة) [٣]

---

(١) الكتاب (٤١/١).
(٢) السابق (٤٥/١).
(٣) فمخرج الخفيفة من الخياشيم، ومخرج المتحركة " من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا" ، كما أن الخفيفة ملازمة للسكون، ينظر: الكتاب (٤٣٣/٤)

(ه)- من المبادئ المقررة في علم المصطلح - أيضًا- ((عدم استخدام أكثر من مصطلحٍ واحدٍ للتعبير عن المفهوم الواحد، وعدم استخدام المصطلح الواحد للتعبير عن أكثر من مفهومٍ واحدٍ، في الحقل العلمي الواحد.)) [١]

وبفحص هذا المبدأ نجد أن بعض المصطلحات الصوتية عند سيبويه وردتْ أحادية الدلالة، بمعنى أنه لا يوجد - عنده - مرادفات لها، أو اشتراكها في الدلالة على أكثر من معنى، ومن ذلك مصطلحات: (طرف اللسان، حافة اللسان، أقصى اللسان، المجهورة، والمهموسة، والشديد، والرخو، والمنحرف، والمكرر ، والهاوي، والمطبقة، والمنفتحة، الخياشيم..إلخ).

وإن كان ذلك لا ينفي وجود بعض المصطلحات الصوتية لديه تدخل ضمن الترادف المصطلحي أو الاشتراك المصطلحي، فمثال الترادف مصطلحا: (الإظهار، والتبيين) في مقابل مصطلح (الإدغام) [٢]، ومثال الاشتراك: مصطلح (النون الخفيفة) فقد استعمله كمصطلح صوتي في مقابل مصطلح (النون المتحركة). كما استعمله كمصطلح نحوي في مقابل (النون الثقيلة) في باب التوكيد. [٣] وإن كان استعماله كمصطلح صوتي ضمن منظومة المصطلحات الصوتية، أو باب الإدغام بما هو سياق له، قد يحد من أثر الاشتراك، وعدم الوقوع في اللبس.

---

(١) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (٣٧٢).

(٢) ينظر: الكتاب (٤/٤٥٤).

(٣) مثال كونها مصطلحًا نحويًّا قوله: ".. ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة، وذلك قولك: والله لأفعلنَّ" الكتاب (٣/١٠٤).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويمكن تعليل وجود مثل هذا التعدد في العلاقة بين المصطلح والمفهوم بأمور، منها:

١.كون الكتاب من أوائل المصادر الصوتية في العربية، وهذه الأولية قد تفرض نوعًا عدم استقرار المصطلحات، وهو أمر طبعي في مثل هذه المراحل الأولى.

٢.أن هذه الظاهرة لم تكن مقصورة على سيبويه وإنما وجدناها عند علمائنا في هذه القرون الثلاثة الأولى، فقد كان علماؤنا ((اهتمامهم الزائد بتوصيل الفكرة يجرهم أحيانا إلى إحاطتها بأكثر من مصطلح قصد إزالة ما يكتنفها من غموض أو الالتباس. ولعل الذي دعا النحاة واللغويين إلى هذا الصنيع هو طبيعة التأليف في القرون الثلاثة الأولى، الذي غلب عليه الجانب التعليمي، إذ كان هم العالِم في تلك الفترة إيصال الفكرة وتثبيتها في ذهن المتلقي، فإن تحقق له ذلك بمصطلح واحد اكتفى به، وإلا وفر لها مزيدا من المترادفات.. وقد يعمد أئمة اللغة إلى تعدد المصطلح، وذلك من باب التنويع فيه، فتراهم مثلا يعبرون عن النقطة التي يولد عندها الصوت في موطن بالمخرج وفي آخر بالموضع.. وهدفهم في هذا – فيما يبدو- دفع الملل عن القارئ وصرفه عنه.)) [١]

٣.أن الواقع المصطلحي – حتى الحديث منه- لا يتطابق مع هذه المثالية المرجوة في هذا المبدأ، كما يقرر عدد من مُنظرِّي المصطلحيَّة:

- يقول هريبرت بيشت: ((.. نظريًّا المصطلحات خلافًا لكلمات المعجم المشترك [العام] هي وحدات أحادية الاتجاه (العلاقة بين الشكل

(١) أثر مصطلحات الخليل الصوتية (٢٨، ٢٩)

والمفهوم وحيدة) وأحادية المرجعية (يدل مصطلح على مفهوم واحد) ومع ذلك لا تتطابق تمامًا النظرية والحقيقة دومًا، والمصطلحية ليست استثناءً في هذا المضمار.)) [١]

– وتقول ماري كابري: ((وغني عن القول أن تفرد المعنى يمثل في المصطلحية الوضع الأمثل للعلاقة بين المصطلح والتصور، إلا أن هذا الوضع الأمثل نادرًا ما سيحدث.)) [٢]

– ويوضح محمد أنيس مورو أن هذه النظرة التقليدية للعلاقة بين المصطلح والمفهوم على يد فوستر ورفاقه قد تبددت عند بعض المصطلحيين المحدثين ((لا يشاطرون المصطلحيين التقليديين نفس التوجه. فإن الترادف بالنسبة إليهم مسألة حتمية تفرضها الطبيعة التطورية للمفاهيم ولا يمكن بأي حال من الأحوال تجنبه لأنه مرافق للصيرورة المعرفية وشاهد عليها في ذات الآن.)) [٣] مما يجعل وجود هذا النوع من الترادف والاشتراك نوعا من التنوع الضرروي في البيئة المصطلحية كما هو في البيئة اللغوية العامة.

---

(١) المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات (١٨٨)، ماريا تيريزا كابري، ترجمة: د. محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٢م.

(٢) مقدمة في المصطلحية (١٤٣)، هريبرت بيشت وجنيفر دراسكاو، ترجمة: د. محمد محمد حلمي هليل، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر– جامعة الكويت، ٢٠٠٠م

(٣) منزلة المصطلح في الخطاب المختص: هل تزعزعت المسلمات الفوسترية؟، محمد أنيس مورو، بحث منشور بمجلة العربية والترجمة– لبنان، العدد ٢٣ سبتمبر ٢٠١٥م، ص ٦٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(و)- ومن المبادئ المصطلحية - أيضًا- ((وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، وليس شرطًا في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.)) (١)

وقد وجدنا بعض المصطلحات الصوتية عند سيبويه تتسم بدقة التسمية، من حيث وجود مثل هذه العلاقات بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، ومن ذلك على سبيل المثال مصطلح الجهر، فمادة ((الجيم والهاء والراء أصل واحد، وهو إعلان الشيء وكشفه وعلوه، يقال: جهرت بالكلام أعلنت به. ورجل جهير الصوت، أي عاليه)) (٢) وقد لاحظ سيبويه هذه الخاصية السمعية في الأصوات المجهورة، إذ إنها الأوضح، فكما تؤكد الدراسات الحديثة فإننا " يكفي أن نشير إلى حقيقة مهمة، وهي أن معدل سرعة الهواء في الأصوات المجهورة يبلغ من ٢٠٠- ٧٠٠ سم٣/ث، بينما يتراوح معدل سرعة الهواء عند إنتاج الأصوات المهموسة غير المتبوعة بدفقة هواء ما بين ٢٠٠- ٧٠٠سم٣/ث. وهذا وحده كافٍ للدلالة على أن الأصوات المجهورة أقوى من نظائرها المهموسة من ناحية الوضوح السمعي.)) (٣)

ومثل ذلك يقال في مصطلح (الشديد)، الذي يعني في اللغة: ((الصلابة، وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض)) (٤)

---

(١) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (٥٥٨).

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ج. ه. ر).

(٣) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية (١٧٣)، د. سمير شريف إستيتية، دار وائل للنشر، ط أولى ٢٠٠٣م

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش. د. د) دار صادر – بيروت.

وهذه الخاصية لاحظها سيبويه في الأصوات المتصفة بهذه الصفة، ولذلك فقد اعتمد مكي بن أبي طالب على هذه العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، في تعريف الحرف الشديد بقوله: ((ومعنى الحرف الشديد: أنه حرف اشتد لزومُه لموضعه، وقَوِي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظِ به.)) (١)

وقد اعتمد الدكتور عبد الصيغ في عيبه على المحدثين استبدالهم بمصطلح (الرخاوة) مصطلحًا آخر وهو (الاحتكاك)، على وجود مثل هذه العلاقة بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي في المصطلح الأول، ويمكن فهم ذلك من قوله: ((وكان الأجدر بعلماء العربية المحدثين الذين يشتغلون بالأصوات اللغوية النظر إلى نتائج أبحاث القدماء، وإقرار المصطلحات التي استخدموها إلا إذا كان هناك قصور في المصطلح القديم، وقد يكون المفهوم قاصرا ولكن المصطلح كما هو معروف يثبت بالاستخدام، والرخاوة تؤدي معنى مرور الهواء والصوت دون عارض يعترضه فيرققه، إذ يمر الصوت في سهولة وارتخاء.)) (٢)

ومراعاة سيبويه لمثل هذه العلاقات يمكن ملاحظتها في إطلاق كثير من المصطلحات، كالإطباق، والإشمام....إلخ

(ز) يمكن إضافة تعليل تسمية المصطلح عند سيبويه كأحد المبادئ المعينة على فهمه، وأثر ذلك في ربط دلالته العلمية (المفاهيمية) بدلالته اللغوية، فقد حرص سيبويه عند معالجة بعض المصطلحات على توضيح

(١) الرعاية (١١٧)، وينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١١٦)
(٢) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (١٢٥).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سبب تسميتها على نحو ما أورد في (الحروف غير المستحسنة)، في قوله: ((.. وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر..)) [١]

فمعيار عدم الاستحسان هنا متجه إلى خلو أعلى مدونتين لغويتين في اللغة العربية فصاحةً وبيانًا من تلك الحروف.

وكذلك ما نجده من تعليل تسمية مصطلحيْ (المنحرف)، في قوله: ((حرف شديد جرى فيه الصوت؛ لانحراف اللسان مع الصوت.. وهو اللام.)) [٢] و(المكرر)، في قوله: ((ومنها المكرر وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافَى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء)).[٣]

فقد لاحظ سيبويه في حركة اللسان صفتين لهما دور كبير في بُدوِّ شخصية كل صوت منهما، فتميزت اللام بالانحراف، وكذا الراء بالتكرار، مع اتصاف كل منهما بصفات أخرى، لكن تشترك معهما فيها غيرهما، أما هاتان الصفتان فهما سمتان فارقتان لكلا الصوتين؛ ولذا استحقا أن تؤخذ التسمية منهما.

وكذلك لاحظ في حركة اللسان صفتين أخريين، يتمثلان في انطباقه من موضعه إلى ما حاذى الحنك الأعلى، أو عدم الانطباق بمعنى انفتاح المساحة التي بينه وبين الحنك، فأخذ من ذلك تسمية مصطلحيْ: الإطباق، والانفتاح.

---

(١) الكتاب (٤/٤٣٢).
(٢) السابق (٤/٤٣٥)
(٣) السابق (٤/٤٣٥)

وقد نقل بعض العلماء تلك التعليلات كما نقلوا المصطلحات نفسها، فبدا بذلك وجه آخر من أوجه التأثر، يتمثل في تعليل تسمية المصطلحات الصوتية، على نحو ما وجدناه في مصطلح المنحرف عند مكي في قوله: ((أما اللام فهو من الحروف الرخوة، لكنه انحرف به اللسان مع الصوت إلى الشدة..)) [١] وكذلك في تعليل التكرار في الراء بقوله: ((سمي بذلك؛ لأنه يتكرر على اللسان عند النطق به، كأن طرف اللسان يرتعد به.)) [٢]

وكذلك نقل تعليل تسمية المطبقة والمنفتحة كثيرون منهم ابن عقيل في قوله: ((.. وذلك لانطباق اللسان فيها على الحنك)) [٣] والداني في قوله: ((سميت منفتحة؛ لأنك لا تطبق بشيء منها لسانك إلى الحنك.)) [٤]

تعقيب:

لاشك أن الاحتكام إلى بعض مبادئ علم المصطلح أظهر مدى تميز المصطلح الصوتي عند سيبويه، مما أسهم بشكل كبير في تأثيره في اللاحقين له، بالإضافة إلى غيره من الأسباب التي شكلت تلك المركزية المهمة لهذا المصطلح في تراثنا العربي،ـ وكان محور عناية ونقل علماء المجالات المتعددة نحوية ولغوية وبلاغية وتجويدية وقرائية وصوتية في القديم والحديث.

---

(١) الرعاية (١٣٢)
(٢) السابق (١٣١)
(٣) المساعد (٢٤٦/٤)
(٤) التحديد (١٠٦)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقبل الخاتمة أقول:

إنه بهذا القدر اليسير من فحص ودراسة المصطلحات الصوتية عند سيبويه – خصوصا في باب الإدغام- أمكننا أن نتبين بعض أسباب مركزية هذه المصطلحات في الثقافة العربية، وأن نكشف النقاب عن بعض عوامل بقائها واستمراريتها، تلك الأسباب – والعوامل- التي تتوزع ما بين أسبابٍ تاريخيةٍ، كون (الكتاب) من المصادر الأولى للدرس اللغوي العربي، وفي القلب منه الدرس الصوتي، وأسبابٍ علميةٍ تتمثل في دقة آراء سيبويه الصوتية، وأسباب مصطلحية فنية، تتمثل في مطابقة هذه المصطلحات لبعض المبادئ المصطلحية التي أقرها منظري علم المصطلح في الحديث.

مع يقيني بأن هناك الكثير من الأسباب التي شكلت هذه المركزية في الثقافة العربية، لم يكن البحث بهذه المساحة المحدودة المتاحة له ليستطع التوصل إليها، ويبقي الأمل في ذلك معقودًا على دراسات أخرى تتعمق في دراسة المصطلحات الصوتية في الكتاب، لتُخرج ما به من أسرار ونفائس لا أظن الكتاب يضن بها علينا.

خاتمة

سعى هذا البحث إلى محاولة الوقوف على مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في الدرس اللغوي العربي، وخرج بما يلي ذكره:

١. من مظاهر مركزية المصطلحات الصوتية عند سيبويه الامتداد المعرفي، من حيث تسربها داخل الجهاز الاصطلاحي لكثير من المجالات المعرفية، كعلم التجويد، والنحو، والمعاجم، والبلاغة...إلخ.

٢. من مظاهر مركزية المصطلحات الصوتية عند سيبويه الامتداد الزمني، بدءًا من القرن الثالث الهجري وحتى يومنا هذا، فقد بقيتْ هذه المصطحاتُ، على الرغم مما نشهده من تقدم تكنولوجي ومعرفي أدى إلى تغيير كثير من المفاهيم والمصطلحات في كثير من المجالات المعرفية.

٣. من مظاهر مركزية المصطلحات الصوتية عند سيبويه الامتداد المكاني، حيث توزعتْ بين بيئات متعددة في المشرق والمغرب العربيين.

٤. لا تتوقف مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية عند التأثير في الحضارة العربية وعلمائها، وإنما تعدتها إلى التأثير في بعض المستشرقين، كنوع من الامتداد الحضاري لهذه المصطلحات.

٥. لا تقتصر مظاهر هذه المركزية على أخذ مصطلحات سيبويه وترديدها فقط، بل إننا وجدنا ملامح لها في الترك أو عدم ذكرها؛ بناء على عدم ذِكْر سيبويه لبعضها.

٦. بالنظر إلى حدود مصطلحات سيبويه الصوتية فنجد بأنها مثَّلتْ فرعيْ علم الأصوات: الفوناتيك (علم الأصوات العام)، والفنولوجيا (علم وظائف

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأصوات)، كما أنها لم تقتصر على مراعاة الجانب النطقي وإنما رصدنا بعض الإشارات الدالة على وعية بالجانب السمعي وأهميته في التمييز بين المصطلحات.

٧.لم تؤثر مصطلحات في اللاحقين مثلما أثرت مصطلحات سيبويه، خصوصًا الصوتية منها، حتى مصطلحات مؤسس علم الأصوات في العربية الخليل بن أحمد.

٨.لا يمكن فصل مركزية مصطلحات سيبويه عن مركزية سيبويه نفسه في الثقافة العربية، وما يمثله نتاجه العلمي من مرجعية مهمة من مرجعياته.

٩.يجب ألا نفصل مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية في الدرس اللغوي العربي عن سياقها العام، المتمثل في مركزية آراء سيبويه ومعالجاته الصوتية وسطوتها على الدراسات العربية في القديم والحديث.

١٠. من أسباب مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية: دقة آرائه الصوتية، فدراية واضع المصطلحات دراية دقيقة بالمفهوم يخرج لنا مصطلحا دقيقا صالحا للشيوع والاستمرارية، وقد صرح غير واحد من العلماء المحدثين بسبق سيبويه إلى كثير من الحقائق الصوتية- التي يتوازى معها دقة المصطلحات المعبر بها عن هذه المفاهيم- وتأييد الدراسات الحديثة لهذا السبق.

١١. كشف لنا الاحتكامُ إلى بعض مبادئ علم المصطلح سرًّا آخر من أسرار مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية، وتأثيرها في الدراسات العربية.

١٢. من المبادئ المصطلحية التي تحققت – إلى حدٍّ بعيدٍ- في مصطلحات سيبويه الصوتية ما يلي:

- وجود المصطلح ضمن مجموعة من المصطلحات المترابطة مفاهيميا.
- التعريف المصطلحي
- وجود وسائل بديلة للتعريف، كالتمثيل، والتمييز بين المفاهيم المتشـــابهة بصفة فارقة.
- الإيجاز في بنية المصطلح.
- توضيح المفاهيم بوسائل متعددة غير التعريف.
- أحادية دلالة كثير من المصطلحات.
- وجود مناسبة بين المدلول اللغوي للمصطلح ومدلوله الاصطلاحي.
- تعليل تسمية العديد من المصطلحات.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثبت المراجع

١. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، أبو شامة الدمشقي، تح: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٩٨ه-١٩٧٨م.
٢. أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة- بغداد، ط أولى، ١٣٨٥ه- ١٩٦٥م
٣. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطي، تح: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب- بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط أولى، ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م.
٤. أثر مصطلحات الخليل الصوتية ومنهجه في دراسات معاصريه، د. المهدي بوروبة، بحث منشور بمجلة الآثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر، العدد الخامس، مارس ٢٠٠٦م.
٥. أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي، تح: طه محمد الزيني- محمد عبد المنعم الخفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط أولى ١٣٧٤ه- ١٩٥٥م.
٦. أصوات العربية والقرآن الكريم: منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب المتوفي سنة ٤٣٧هـ، عبد الله ربيع، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية- جامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية، العدد (١٠) عام ١٩٨٠م.
٧. الأصوات عند سيبويه في ضوء علم الأصوات الحديث، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر- دمشق، ط أولى، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩ م.
٨. الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، د. سمير شريف إستيتية، دار وائل للنشر، ط أولى ٢٠٠٣م
٩. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط سادسة، ١٩٨٨م.
١٠. أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تح: محمد حسان الطيان- يحيي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٢م.

١١. أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري، تح: محمد بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٥٧م.
١٢. إشكالية التأريخ للمصطلح النحوي، د. عبد القادر المهيري، بحث منشور بمجلة المعجمية، تونس، العددان ٥، ٦ سنة ١٩٩٠
١٣. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، دون تاريخ.
١٤. الأصول في النحو، ابن السراج، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ثالثة، ١٤١٧ه-١٩٩٦م.
١٥. إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب (١٢)، ١٩٥٤م
١٦. الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، تح: د. عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، سلسلة من التراث الإسلامي (الكتاب الثالث والعشرون)، ط أولى ١٤٠٣ه.
١٧. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تح. د. مازن المبارك، دار النفائس، ط ثالثة، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م.
١٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، أولى، ١٣٨٤ه- ١٩٦٥م
١٩. تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية، ط ثانية ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م
٢٠. التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، دار الصحابة للتراث بطنطا، مراجعة: جمال الدين محمد شرف، دون تاريخ.
٢١. تجويد القراءة ومخارج الحروف، ابن وثيق الأندلسي، تح: د. غانم قدوري الحمد، منشور بمجلة الحكمة، العدد ٣٥، جمادى الثانية ١٤٢٨ه.
٢٢. التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمر الداني، تح: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار- عمان، ط أولى، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢٣. التذكرة في القراءات، أبو الحسن ابن غلبون، تح: د. سعيد صالح زعيمة، دار ابن خلدون- الإسكندرية، توزيع دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م
٢٤. تشكل المصطلح البسيط في كتاب سيبويه بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي، سلام بزي حمزة، بحث منشور بمجلة المعجمية- تونس، العدد ٢٠، سنة ٢٠٠٤م
٢٥. التفكير الصوتي عند الخليل، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، ط أولى ١٩٨٨م.
٢٦. التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف- الرياض، ط أولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٧. التمهيد في معرفة التجويد، لأبي العلاء الهمذاني، تح. جمال الدين محمد شرف، ومجدي فتحي، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٨. تهذيب اللغة، الأزهري، تح: مجموعة من العلماء، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
٢٩. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، عني بتصحيحه: أوتو يرتزل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م
٣٠. الجمل في النحو، أبو إسحاق الزجاجي، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- دار الأمل، ط ثالثة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م
٣١. جمهرة اللغة، ابن دريد، مطبعة مجلس دائرة المعارف – حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.
٣٢. جهد المقل، المرعشي، تح. د. سالم قدوري الحمد، دار عمار- عمان، ثانية ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٣٣. حركة المصطلح النحوي في كتاب سيبويه، سلام بزي حمزة، بحث منشور بمجلة المعجمية- تونس، العدد ٢٤، سنة ٢٠٠٨
٣٤. الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف، أبو المعالي الموصلي، تح: د.غانم قدوري الحمد، مجلة الحكمة، العدد (٢٥)، جمادى الثانية ١٤٢٣هـ

٣٥. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ١٤١٨ه-١٩٩٧م
٣٦. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية- تونس، ١٩٦٦م
٣٧. رسالة يعقوب الكندي في اللثغة، د. محمد حسان الطيان، ضمن كتاب تحت راية العربية، دار الثقافة والتراث- دمشق، ط أولى ١٤٢٨- ٢٠٠٨م.
٣٨. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، تح: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، ثالثة ١٤١٧ه-١٩٩٦م.
٣٩. السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط ثالثة، ١٤٠٠هـ
٤٠. سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم- دمشق، ط ثانية ١٤١٣ه- ١٩٩٣م.
٤١. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٣٧٢ه- ١٩٥٣م.
٤٢. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح، مراجعة: الشيخ علي محمد الضباع، مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط ثالثة، ١٣٧٣ه-١٩٥٤م
٤٣. سطوة آراء سيبويه على الخالفين في الصوتيات العربية، د. خالد فهمي، بحث منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد ١٢ ربيع ثاني ١٤٣٥ه- ٢٠١٤م.
٤٤. سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، ط ثانية، ١٩٧٩م.
٤٥. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٢ه-١٩٨٢م
٤٦. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تح. أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٤٧. شرح كتاب سيبويه، صالح بن محمد، تح: خالد بن محمد التويجري، رسالة دكتوراة باللغة العربية- جامعة أم القرى١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
٤٨. شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، دون تاريخ.
٤٩. شرح الهداية، أبو العباس المهدوي، تح: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٥ه
٥٠. الشفاء، لابن سينا، ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٨م.
٥١. طبقات الأمم، صاعد بن أحمد الأندلسي، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت ١٩١٢م.
٥٢. طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزُّبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ثانية، ١٣٩٢ه- ١٩٧٣م.
٥٣. علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، ٢٠٠٠م .
٥٤. علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، للمستشرق الألماني أرتو شاده، محاضرة برؤية استشراقية ومراجعة حديثة، د.صبيح حمود التميمي، بحث منشور بآداب الرافدين، العدد ٥٨، لعام ١٤٣٢ه-٢٠١٠م،
٥٥. علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، أولى ٢٠٠٨م.
٥٦. العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسة المصري، تح. محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة- الإسكندرية، ط أولى، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م
٥٧. عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د. عبد العزيز علام، ط ثانية ١٤١٧ه- ٢٠٠٦م.
٥٨. العين، الخليل بن أحمد، تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ثالثة، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.
٥٩. غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، دار التقوى، ثانية، ١٤١٢ه.
٦٠. فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد، محمد علي بسة، مكتبة الإيمان- مكتبة الجامعة الأزهرية، أولى، ١٤٣٢ه – ٢٠١١م.

٦١. فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، ١٣٩٧ه-١٩٧٧م.
٦٢. الفهرست، النديم، تح: رضا تجدّد، ١٣٩١ه-١٩٧١م.
٦٣. في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل العطية، منشورات دار الجاحظ للنشر- بغداد، ١٩٨٣م
٦٤. قراءة في مصطلح سيبويه تحليل ونقد، د. علي توفيق الحمد، بحث منشور بمجلة علوم اللغة، المجلد ٩ العدد ١ سنة ٢٠٠٦م.
٦٥. الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ثالثة ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.
٦٦. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تح: د. عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط ثانية، ١٤١٩ه-١٩٩٨م
٦٧. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت. د.ت.
٦٨. ما ذكره الكوفيون من الإدغام، أبو سعيد السيرافي، تح: د. صبيح التميمي، دار البيان العربي- جدة، ط أولى، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م
٦٩. المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمر الداني، تح. د.عزة حسن، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، ثانية، ١٤١٨- ١٩٩٧م.
٧٠. مخارج الحروف وصفاتها، ابن الطحان، تح: د. محمد يعقوب تركستاني، بيروت، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م.
٧١. مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، أولى ١٤١٣ه-٢٠٠٢م.
٧٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، مكتبة دار التراث- القاهرة، ط ثالثة، د.ت
٧٣. المساعد في تسهيل الفوائد، ابن عقيل، تح: د. محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٧٤. المصطلح الصوتي عند المبرد في المقتضب مصادره ودلالاته، د. عصام فاروق، بحث منشور بمجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، إصدار خاص- يونيه ٢٠١٢م.
٧٥. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر- دمشق، ط ثانية ١٤٢٧ه-٢٠٠٧م.
٧٦. المصطلح الصوتي مشكلاته وأسس ضبطه وتوحيده، د. أحمد على ربيع، بحث منشور بمجلة قطاع كليات اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد الثامن، المجلد الثاني، لسنة ٢٠١٤م
٧٧. المصطلحات التراثية بين إمكانية الاستثمار وعوائق الاستعمال، د. عصام فاروق، بحث منشور بمجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد (٤٨)
٧٨. المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب- دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري، عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر، رسالة دكتوراه، بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، سنة ١٤٢٤- ١٤٢٥ه.
٧٩. المصطلحات الصوتية والنحوية عند البصريين في القرنين الثاني والثالث الهجريين، زهيرة قروي، رسالة دكتوراة بكلية الآداب واللغات بجامعة منتوري- قسنطينية ٢٠٠٧- ٢٠٠٨م.
٨٠. المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، الأمير مصطفى الشهابي، دار صادر- بيروت، ثالثة ١٤١٦ه- ١٩٩٥م.
٨١. المصطلحية النظرية والمنهجية والتطبيقات، ماريا تيريزا كابري، ترجمة: د. محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٢م.
٨٢. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تح. د. عبد الجليل شلبي، طبعة خاصة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- القاهرة، ١٣٩٤ه-١٩٧٤م.
٨٣. معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي، ط أولى، ١٤٠٢ه-١٩٨٢م
٨٤. معجم المصطلحات اللغوية، د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط أولى، ١٩٩٠م

٨٥. مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تح: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة- بغداد، ط أولى، ١٤٠٢ه-١٩٨٢م
٨٦. المفصل في علم العربية، الزمخشري، مطبعة التقدم- مصر، ط أولى، ١٣٢٣ه
٨٧. المقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ثالثة، ١٤١٥، ١٩٩٤م.
٨٨. مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، د. عبد الفتاح البركاوي، القاهرة، ٢٠٠٢م
٨٩. مقدمة في المصطلحية، هريبرت بيشت وجنيفر دراسكاو، ترجمة: د. محمد محمد حلمي هليل، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر- جامعة الكويت، ٢٠٠٠م.
٩٠. الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تح: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط أولى، ١٩٩٦م
٩١. المناهل الصافية إلى كشف معاني الشافية، ابن الغياث، تح: د. عبد الرحمن محمد شاهين، مكتبة الشباب- مصر، دون تاريخ.
٩٢. منزلة المصطلح في الخطاب المختص: هل تزعزعت المسلمات الفوسترية؟، محمد أنيس مورو، بحث منشور بمجلة العربية والترجمة- لبنان، العدد ٢٣ سبتمبر ٢٠١٥م
٩٣. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح. د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط أولى، ١٩٩٦م.
٩٤. الموسيقى الكبير، الفارابي، تح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
٩٥. الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط أولى ١٤١٢ه- ٢٠٠٠م.
٩٦. نتائج الفكر في النحو، للسهيلي، تح. عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤١٢ه- ١٩٩٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٩٧. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات ابن الأنباري، تح: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الأردن، ط ثالثة، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م
٩٨. النشاط المعجمي في الأندلس، د. يوسف عيد، دار الجيل- بيروت، ط أولى، ١٤١٢ه- ١٩٩٢م
٩٩. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، خرج آياته: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط أولى، ١٤١٨- ١٩٩٨م
١٠٠. النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، د. الطيب البكوش، بحث منشور بحوليات الجامعة التونسية، العدد١١ سنة ١٩٧٤
١٠١. نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، محمد مكي نصر الجريسي، ضبطها وصححها وخرج آياتها: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية- بيروت، أولى، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
١٠٢. همع الهوامع في جمع الجوامع، السيوطي، تح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ه- ١٩٩٢م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	١٠٤٦٣
٢.	Abstract	١٠٤٦٤
٣.	المقدمة	١٠٤٦٥
٤.	المطلب الأول: الإمام سيبويه و(الكتاب) ومنزلتُهما في العربية	١٠٤٧٠
٥.	المطلب الثاني: المصطلحات الصوتية في التراث العربي:	١٠٤٧٩
٦.	أولا- سمات المصطلح الصوتي القديم	١٠٤٨٥
٧.	ثانيا- استثمار المحدثين للمصطلحات الصوتية القديمة	١٠٤٨٩
٨.	المطلب الثالث: مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية (مظاهرها، وآثارها):	١٠٤٩٢
٩.	أولًا- مصطلحات صفات الأصوات:	١٠٤٩٦
١٠.	ثانيا- مصطلحات أعضاء النطق والمخارج:	١٠٥١٨
١١.	ثالثا- مصطلحات خاصة بالأصوات الفروع:	١٠٥٢٢
١٢.	رابعاً- مصطلحات فنولوجية:	١٠٥٢٤
١٣.	خامسا: مصطلحات خاصة بأداء الحركات	١٠٥٢٦
١٤.	المطلب الرابع: مركزية مصطلحات سيبويه الصوتية (أسبابها، وعوامل بقائها)	١٠٥٣٤
١٥.	الخاتمة	١٠٥٥٨
١٦.	ثبت المراجع	١٠٥٦٢
١٧.	فهرس الموضوعات	١٠٥٧١

تم بحمد الله